

## ظاهرة القسم بوساطة الحروف في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)

يوسف عواد القماز

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن

### ملخص

تقوم هذه الدراسة على تحليل ظاهرة أسلوبية لغوية تتمثل في القسم بوساطة الحروف، وتتبع وجودها من خلال القرآن الكريم، وإبرازها في ضوء المعايير البلاغية بعد حصر صورها التعبيرية لاستنباط ما يمكن من أسرار التعبير البياني فيها.

وقد تبين أن استخدام هذه الظاهرة الأسلوبية يكمن وراءه اعتبارات بلاغية متعددة تختلف باختلاف الغرض الذي سبقت من أجلها الصورة التعبيرية القسمية في بنائها الخاص، ولعل من أبرز ما ظهر لي من هذه الأغراض ما يمكن اعتباره عائداً إلى الاختصار والخفة في اللفظ، والتناسب في الجرس الموسيقي بين كلمات الصور القسمية، أو الإغراب، أو الاعتبار، أو إظهار ملامح جمالية للصورة، أو المشاركة في الاهتمام لأخذ العبرة، بالإضافة إلى المعنى العام للقسم وهو التوكيد.

وهذه الاعتبارات المتعددة - التي أمكن رصدها - وغيرها مما خفي من المقاصد، تجعل هذه الظاهرة ظاهرة غنية بالدلالات وأهلاً للدراسة والبحث.

كما ظهر لي أيضاً أن هناك نوعاً من التغاير بين استخدامات القسم في لغة الخطاب العربي، وبين استخدامها في لغة القرآن الكريم، من حيث إنها في القرآن الكريم تخضع أحياناً لاعتبارات عقدية تحد من انسيابية التعبير المطلقة في رسم صورة القسم.

### Abstract

The present study endeavors to analyse one stylistic and linguistic phenomenon that pertains to employing particles for swearing purposes. This phenomenon has been traced in the Holy Koran. Attempts have been made to pinpoint it in light of rhetoric criteria. This has been done to delimit its various expressions so as to deduce possible rhetoric expressive secrets hidden in it.

It has been found that utilizing such stylistic phenomenon serves various functions, depending on the speaker's intention. Some of the prominent functions of this phenomenon include conciseness, lightness, harmony among the words of a swearing expression or alienation or consideration, the intention of showing the aesthetic aspects of a certain image, or shared common interests or drawing a lesson, in addition to the general function of emphasis. All of these functions render this phenomenon important and a subject that is worth studying.

It also appears to me that there are variations between employing such phenomenon in general discourse and employing it in the Holy Koran where it is subject to creedal considerations which, in turn, lay constraints on the flexibility of the absolute expressions of the swearing picture.

## المقدمة :

يعد القسم بوساطة الحروف ظاهرة لغوية بارزة، تشكل مساحة مرموقة على رقعة العربية، ويزداد وضوح هذه الظاهرة عند تطبيق دراستها في ضوء المعطيات القرآنية كمعايير جودة تفيض عنها صور التعبير السامقة التي يرمقها الأدباء والكتاب طالبين ودها وراعين حول حماها.

وقد شكلت هذه الظاهرة الأسلوبية مساحة متميزة من صور التعبير القرآني مما يستدعي دراستها وتسليط الضوء عليها لاستخراج ما أمكن استخراجاً من معايير الجودة فيها، وبيان مكامن كنوزها التشكيلية ودلالاتها البيانية الجمالية.

وإذا كانت تأدية القسم تتم في صورته المعيارية المتكاملة بوساطة ذكر فعل القسم متعدياً إلى المقسم به بحرف المقسم مع ذكر المقسم عليه (جواب المقسم)، فإن إجراءه بوساطة حروف المقسم يعد انحرافاً أسلوبياً عن هذا المعيار، وهذا الفهم مطابق لبعض الاعتبارات في الدراسات الأسلوبية الحديثة، وداخل في بعض مفاهيمها وتعريفاتها، فهناك من يرى (أن الأسلوب انحراف عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري (١)). ويمكننا تسميته هنا بالمعيارية النسبية. وهو أيضاً نوع من النيابة بين الحروف (حروف المقسم) والفعل من هذه المادة (ق س م)، هذه النيابة التي تشكل ظاهرة من ظواهر اللغة لا تقل أهمية عن غيرها من ظواهر العربية كالتغليب والحذف وغيرها... فهي جميعاً تعد لبنات في بناء اللغة الشامخ.

ويعد هذا البحث مناقشة لهذه الظاهرة من جوانبها المتعددة، وذلك للوصول إلى كيفية التشكل البنائي ومن ثم المعطيات الدلالية والجمالية لهذا التشكل.

وتسهيلاً لهذه الدراسة فقد جعلتها تقوم على أفراد كل حرف من حروف المقسم على حدة والنظر إليه من خلال المستويات الآتية:-

١- المستوى البنائي الذي تتم عليه الصورة من خلال اللغة.

٢- الدراسة الإحصائية لتوارد الحرف وصور التوارد في ضوء القرآن إثباتاً ونفيًا.

٣- الدلالات المختلفة لتلك الصور.

## صور أسلوب المقسم في القرآن الكريم:

تفاوتت استخدامات أسلوب المقسم في القرآن الكريم باعتباريات مختلفة حسب ما تتطلب السياقات، فإشارة بجده مكتمل الأركان مشتقاً على فعل المقسم والمقسم به والمقسم عليه مذكورة مثبتة كقوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت" (٢)، وتارة أخرى بجده قد حذفت منه بعض هذه الأركان كحذف جواب المقسم في مثل قوله تعالى: "والنازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً، فالسابقات سبقاً،

فالمديرات أمراً، يوم ترجف الراجفة" (٣)، أو حذف المقسم به كقوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة" (٤)، أو حذف فعل القسم كقوله تعالى: "والضحى، والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى" (٥).

والركن الأول من هذه الأركان (أعني فعل القسم) تفتاوت استخداماته أيضاً باعتباريات مختلفة، حسب ما تتطلب السياقات، فتارة نجد الفعل مذكوراً مثبتاً كقوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم" (٦)، وأخرى محذوفاً قد عوض عنه بحرف من حروف القسم جار للمقسم به كقوله تعالى: "والفجر، وليال عشر، والشفع والوتر، والليل إذا يسر، هل في ذلك قسم لذي حجر" (٧)، وأحياناً نجده غير مصرح به ولا عوض عنه بحرف وإنما يدل عليه بقرينة مثل اللام الموطئة للقسم الداخلة على جوابه كقوله تعالى: "لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً" (٨)، والتقدير: أقسم لتبلون، أو: والله لتبلون. وأحياناً نجده حذوف من الكلام وجيء بمعادل له مما يحمل معنى القسم كالحلف وذلك كقوله تعالى حكاية عن المنافقين: "يخلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً" (٩). أو اليمين كقوله تعالى: "أم لكم إيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون" (١٠). أو العهد كقوله تعالى: "ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديبار" (١١). أو الميثاق كقوله تعالى: "وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله" (١٢). أو الوعد كقوله تعالى: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ... " (١٣). أو (جرم) كقوله تعالى: "لا جرم أنتم بالآخرة هم الأخسرون" (١٤).

وهذا التفاوت في صورة فعل القسم بالاعتبارات السابقة الذكر لا شك يتبعه تنوع في الدلالة الدقيقة للاستعمال.

أما صور إثبات فعل القسم، فغالباً ما يكون مع اكتمال البناء الشكلي للصيغة القسمية وهي كثيرة في القرآن حيث وردت صورة إثبات الفعل في حوالي ٢٢ موضعاً... (١٥)، مستخدمة صيغة الماضي كقوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" (١٦)، أو المضارع مثل قوله تعالى: "فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما" (١٧)، أو المضارع المسند إلى ضمير المتكلم كقوله تعالى: "فلا أقسم بمواقع النجوم" (١٨)، أو النهي كقوله تعالى: "قل لا تقسموا طاعة معروفة" (١٩). والصور السابقة لصيغة القسم بالاعتبارات المختلفة، كل منها يمكن أن يشكل ظاهرة قائمة بذاتها قابلة للدراسة والبحث، وأبرز هذه الصيغ، صيغة: (حذف فعل القسم والتعويض عنه بحرف من حروفه)، وهي ظاهرة جديرة بالدراسة والتحليل لما تنطوي عليه من دلالات. والناظر في كتاب الله يجد أن صيغة القسم حالة حذف الفعل والتعويض عنه بحرف من حروف القسم، تزيد كثيراً عن

الصيغة السابقة التي يرد فيها فعل القسم، وقد استخدم العرب مجموعة من الحروف عوضاً عن فعل القسم سموها حروف القسم وهي: الواو والباء والتاء واللام والهمزة (٢٠). وقد زاد بعضهم الحرف: (من) بكسر الميم أو ضمها والحرف: (ها) (٢١). ويلحق بعضهم أيضاً كلمة (جير) ويعدها حرف قسم (٢٢).

أما كيفية استخدام هذه الحروف، فقد تكفلت كتب النحو في بيانه وتوضيح العلاقة بينها، وهذا الزجاج يحدثنا عن ذلك فيقول: "واعلم أن الواو والباء تدخلان على كل محلوف به، ولا تدخل التاء إلا على لفظ الجلالة الله - عز وجل -، واللام لا تدخل إلا في التعجب فتقول: "وحياتك لأخرجن" و "بحياتك لأخرجن" ولو قلت "تحياتك" لم يجز.

والأصل: الباء؛ لأنها من حروف الحذف، والواو بدل من الباء لأتقيا من حروف الشفتين فجاز أن تتعاقب والتاء بدل من "الواو" كما أبدلواها في "تراث" و "تخمة" و "تكأة" وما أشبه ذلك لأنه من "ورثت" و "الوخامة" من "اتخمت" و "التكأة" من "توكأت" ... (٢٣).

وإذا علمنا أن أدنى حافة اللسان اليميني إلى منتهاها مع ما يليه من لثة الأسنان العليا، هو مخرج السلام، وأن من طرف اللسان ومن أصول الثنايا العليا هو مخرج التاء أدركنا قرب المخرجين (٢٤)، وبالتالي تسوية أن ينوب أحد الحرفين مكان الآخر.

ويرى آخرون أن أصل هذه الحروف هو الباء لعلة أخرى، قال ابن كمال باشا: "والأصل من حروف القسم، هو الباء؛ لأن فعل القسم لازم يحتاج في التعدية إلى حرف التعدية وهي الباء، والواو بدل من الباء، ولا يجوز استعمالها مع فعل القسم فلا يقال: "أقسمت والله بخلاف الباء فيقال: أقسمت بالله لأصالتها" (٢٥). والأصالة في حروف الجر - كما هو مبين في كتب النحو - (أن يؤدي الحرف معنى فرعياً جديداً في الجملة ويوصل بين العامل والاسم المجرور) (٢٦). وهاًنذا أشرع ببيان هذه الحروف حسب ورودها في ضوء كثرة الاستعمال في القرآن الكريم.

### حرف القسم الواو :

ومن الجدير بالذكر بيان أن أكثر هذه الحروف استخداماً هو الواو، ويتميز من غيره من حروف القسم فيما يأتي:-

١- تنوع المقسم به بعده من حيث كونه :-

أ- لفظ الجلالة (الله).

ب- لفظ الجلالة (الرب).

ج- مخلوقات ربانية عظيمة.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الواو بوصفها حرف قسم تدخل على كل محلوف به، ومن الأمثلة على تنوع مدخولها قوله تعالى: "والفجر، وليال عشر" (٢٧)، وقوله تعالى: "والشمس وضحاها" (٢٨)، وقوله تعالى: "فورك لنحشرهم والشیاطین" (٢٩)، وقوله تعالى: "قل إي وربی إنه لحق" (٣٠)، وقوله تعالى: "قالوا بلی وربنا" (٣١)، وقوله تعالى: "والله ربنا ما كنا مشركين" (٣٢).

وجواز تنوع المقسم به بعد الواو يجعل كثيراً من صور التعبير القسيمي سليمة صحيحة، بخلاف الحروف الأخر المقيدة ببعض الصور التعبيرية، فإنه (لا يقال: تريك، ولا تزيد، ولا تالشمس، ولا يقال: بالشمس، ولا يزيد، وغير ذلك من الصور على معنى القسم، مع جواز أن يكون ذلك كله بالواو فتقول وربك، وزيد، ...)(٣٣).

٢- كثرة الاستعمال: فهذا الحرف يعد أكثر حروف القسم استخداماً، وهذه الميزة ناجمة عن الميزة الأولى، إذ إن تنوع المقسم به ودخوله على كل محلوف يجعل استخدامه أكثر من غيره في باب القسم، وقد ورد في مجال القسم في كتاب الله عز وجل في أكثر من أربعة وخمسين موضعاً (٣٤).

أما عن النكته في ورود القسم بالواو بهذه الكثرة فيعود إلى خفة حرف الواو عند النطق به قياساً إلى غيره من حروف القسم كالباء والتاء واللام، حيث يعد حرفاً هوائياً شفوياً لا يحتاج إلى بذل جهد عند النطق به. ومع وجود هذه المميزات للواو التي تعطيها انسيابية التعامل مع الجمل القسمية إلا أننا لا نعدم بعض القيود اللغوية التي تقيد انطلاقة هذا الحرف المطلقة، فقد ورد من القيود اللغوية أنه لا يدخل إلا على مظهر وأنه لا يتعلق إلا بمحذوف، قال الرماني: "لا يجوز أن تدخل على مضمّر كما تدخل الباء في قولك: به لأخرجن...؛ لأن الباء هي الأصل والواو بدل منها ... وتضمّر معها رب نحو قولك: ورجل أكرمت . وبلد دخلت". (٣٥)، فدخولها أعلى مظهر نحو قوله تعالى: "يس، والقرآن الحكيم" (٣٦). ولا يقال: وك، كما لا يقال: أقسم والله (٣٧).

وعند معالجة القسم بالواو في ضوء الآيات القرآنية نجد أن القرآن قد حصر القسم بها في عدة أمور هي :-

١- القسم بمخلوقات ربانية عظيمة.

٢- القسم بلفظ الجلالة (الله).

٣- القسم بلفظ الجلالة (الرب).

١- القسم بالمخلوقات:

عند معالجة القسم بالمخلوقات، نجد أن هذا النوع أكثرها وروداً كما أشرنا إلى ذلك فقد ورد القسم بمخلوقات الله سبحانه وتعالى في أكثر من أربعة وخمسين موضعاً، وقد تنوعت هذه المخلوقات ما بين كونها

زمانية أو مكانية أو ذوات وغير ذلك؛ فقد أقسم سبحانه وتعالى بملائكته أولى الصفات المختلفة (٣٨)، وأقسم سبحانه بالليل في أحواله المختلفة (٣٩)، وأقسم بضده وهو النهار في أحواله المتغيرة أيضاً (٤٠)، وأقسم سبحانه بمخلوقات شريفة كريمة، فقد أقسم بالرسول صلى الله عليه وسلم (٤١)، والكعبة (٤٢)، ومكة (٤٣)، وبيت المقدس (٤٤)، والطور (٤٥). وأقسم سبحانه بكلامه القديم القرآن (٤٦). وأقسم بالأرض (٤٧)، والسماء (٤٨)، والقمر (٤٩)، وغيرها من المخلوقات. وإذا ما حولنا استنطاق النصوص القسمية السابقة من هذا التنوع لمعرفة المسند إليه المحذوف، نجد أن فاعل القسم المحذوف فيها جميعاً هو الله سبحانه وتعالى فقط ولم يتعد فاعل القسم إلى غيره سبحانه وتعالى.

ويكمن السر في ذلك أن الحلف والقسم بغير الله (أي بالمخلوقات) غير جائز من جهة شرعية إلا من الله، فانحصر المسند إليه في لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى، وقد وردت الآثار الدالة على هذا الفهم الشرعي، فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" (٥٠).

وما جاء وظاهره مشعر بأنه حلف بغير الله فمؤول على معنى عدم القصد إلى الحلف واليمين، فقد خرج العلماء قول النبي صلى الله عليه وسلم "أفلح وأبيه إن صدق" (٥١) وقوله "أما وأبيك لتنبأته" (٥٢) على عدم القصد إلى التعظيم، فقد جاء في تأويل ذلك عن ابن عبد البر ما قوله "إن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير قصد للقسم به، والنفي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف" (٥٣).

وخرج أيضاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قصد في قسمه إلى التأكيد، ولم يرد تعظيم المقسم به، والنهي عن القسم بالمخلوقات يقع عندما يراد بالقسم التعظيم (٥٤).

وما من شك أن القسم بالشيء يقتضي تعظيمه، ولا أعظم من الله عز وجل، فانتهى القسم بالمخلوقات لغير الله عز وجل، وحتى يسير الكلام على وتيرة واحدة أي عدم جواز القسم بغير الله مطلقاً، حمل بعضهم القسم في هذه المواطن على تقدير محذوف مثل "رب الضحى"، ورب الفجر، ورب الليل، وغيره... (٥٥) وهذا التقدير يجعل القسم يسير على وتيرة واحدة وهو عدم جوازه إلا بالله سبحانه وتعالى، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن القيم حيث قال: "إن المقسم به في هذه الأمور هو لفظ الرب سبحانه وتعالى على تقدير: ورب الفجر، ورب الليل، ورب محمد... (٥٦). ومن المعلوم أن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير.

وإذا اعتبرنا أن الأمر على غير تقدير مضاف، يصبح جواز القسم بغير الله منحصراً فيه سبحانه وتعالى وحده، وهذا الوضع، يقتضي منا معرفة السر والنكته في قسم الله بهذه المخلوقات، وهذه النكات والأسرار يمكن أن نلمحها من خلال تتبع هذه النصوص القرآنية، فقد أقسم سبحانه وتعالى بالشمس والضحى والليل

والقمر والنجوم والفجر والسماء والعدايات، والنازعات والملائكة الخ... وكلها مخلوقات ربانية عظيمة ذوات أهمية بالغة في حياة البشر والكون، فلا عجب إذاً أن يكون القسم بها من أجل تعظيمها وإبراز أهميتها في الوجود، فما من مخلوق أقسم الله به إلا وله أهمية عظيمة بحيث تنوقف الحياة أحياناً على وجود ذلك المقسم به كالليل والنهار، قال تعالى: "قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيتكم بضياء" (٥٧)، ومن منا يستطيع أن يتصور الكون بلا شمس ولا قمر... كل ذلك بالإضافة إلى دلالة القسم العامة وهو: التأكيد على ما يحمله جواب القسم من معان ودلالات.

وإذا كان الأصل في القسم وصدوره، تأكيد الحكم الذي يتضمنه جواب القسم، يمكننا هنا القول: إن القسم قد جاء أيضاً لأغراض أخرى زائدة على التأكيد.

ويمكننا هنا القول أيضاً: إن القسم قد خرج على خلاف مقتضى ظاهره وعدل به إلى تنبيه المخاطبين على أهمية المقسم به ومكانته، وليس المراد ساعته حقيقة القسم، بل الدلالة على مخلوقات الله العظيمة الدالة على كمال قدرته ووحدانيته سبحانه وتعالى -ومن المقرر أن النكات البلاغية قد تتزاحم في الموضوع الواحد- ويشهد لهذا المذهب، ما جاء في مقدمة تحقيق كتاب أقسام القرآن ونصه: "وقد اتفق العلماء على أن إقسام الخالق بشيء من مخلوقاته إنما يراد به تعظيم المقسم به" (٥٨).

وبالرجوع إلى ما أقسم الله به من مخلوقاته يتبين لنا أن منها ما حمله المفسرون على أكثر من وجه بسبب الاشتراك اللفظي مما أدى إلى جعل بعضها ذا شأن وبعضها الآخر دون ذلك حسب إمكانية الحمل في اللفظ، فعلى سبيل المثال لا الحصر حمل بعضهم معنى (النازعات) على أنها القسي (جمع قوس)، وحمل بعضهم اللفظة نفسها على معنى الملائكة، بسبب هذا الاشتراك اللفظي، وحمل بعضهم قوله تعالى: "والتين والزيتون" (٥٩) على أنها الشجرة المعهودة، وحملها البعض على معنى مواطن تلك الأشجار وأما إشارة إلى مواطن رسالة عيسى عليه السلام.

والقاعدة العامة في هذا الشأن أن ما كان محتتملاً منها أن يحمل على أكثر من وجه، فإن العلماء حملوه على المعنى الأعظم ويدل على ذلك ما قاله الفخر الرازي في تفسيره عندما أشار إلى اختلاف أهل التأويل - في قوله تعالى "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس" - هل المراد من ذلك بقر الوحش كقول ابن مسعود والنخعي، أو أهمل الكواكب السيارة كما ورد عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة، لعظمتها وكثرة أمورها العجيبة فقد قال: "إن محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى" (٦٠).

وترى الدكتورة عائشة بنت الشاطئ وجهاً غير ما ذكر في استخدام الواو في القسم فتقول بعد الإشارة إلى فكرة الإعظام عند المفسرين: "والذي اطمأنتت إليه بعد طول التدبر لسياقها في الآيات المستهله بالواو، هو أن

هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغي، هو: اللفت بإثارة بالغة إلى حسيات مدركة لا تحتمل أن تكون موضع جدل وممارسة، توظف إيضاحية لبيان معنويات بمارى فيها، أو تقرير غيبيات لست من الحسيات والمدركات، فالبيان القرآني في قسمه بالفجر وبالصبح إذا أسفر وإذا تنفس وبالشمس وضحاها والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى... يجلو معاني من الهدى والحق أو الضلال والباطل، بمدايات من النور والظلمة في مختلف درجاتها، وهذا البيان المعنوي بالحسي، هو مدار استعمال البيان القرآني للظلمات والنور بمعنى الضلال والهدى وهو الذي يمكن أن نعرضه على أكثر الآيات المستهتلة بواو القسم فتقبله دون تكلف في التأويل أو اعتساف الملحظ" (٦١).

وتسوق الأمثلة المرضية لهذه الفكرة من خلال عدة سور ابتدئت باستخدام القسم بالواو كالضحى والعاديات والفجر والنازعات وغيرها، منها ما قالته في سورة العاديات "السورة تبدأ بالواو لا فته إلى ما عهد القوم من غارات الخيل المصبحة وتفجؤهم على غير توقع فلا ينتبهون إلا وقد توسطت الجمع فبعثرته وسطت نفعها المنار، توظف إيضاحية لصورة بيانية أخرى منذرة يغيب غير مشهود ولا مدرك يفجأ الإنسان الكنود لربه بالبعث يأخذه على غير أهبة أو توقع، فإذا الناس في حيرة وارباك قد بعثوا من القبور أشتاتاً كالفراش المبتوث أو الجراد المنتشر وإذا كل ما في صدورهم قد حصل لم تغلت منه خافية مضمرة في طي الصدور" (٦٢).

وواضح من خلال رأي بنت الشاطي أن القسم بالمخلوقات وفي جميعها قضايا حسية لا يصار إليها لذواتها بل لأنها تمثل رمزاً إلى غيرها، فهي رموز حسية تشكل انطلاقةً لأمر معنوية، وهي إشارات مدركة بوساطة الحواس تقودنا إلى أمور غيبية معنوية لا تدرك إلا بالعقل.

مما سبق يتبين لنا أن القسم بالمخلوقات أسلوب تعبري قرآني يمكن حمله إلى أبعد من مسألة تعظيم المقسم به كما يمكن إخراج دلالاته على خلاف مقتضى ظاهرها لإفادة التنبيه إلى فاعلية وأهمية المقسم به، وأهميته مما يفسح المجال إلى إمكانية تداول مثل هذا الأسلوب عند الكتاب والمبدعين لا على أنه تعظيم للجملات حتى لا يقع في محذور شرعي، وهذا الفهم يجعل من الممكن أيضاً إيقاع القسم بأمر ليست ذات أهمية ولا بقيمة عالية من باب الإشارة إلى استخدام الاستعارة ذات العلاقة الضدية حينما يقصد أن يكون المراد الاستهزاء بمن يوجه إليهم القسم، أو إظهار مهانتهم أو السخرية بهم والتقليل من شأنهم، وذلك قياساً على ما جاء في القرآن الكريم في استخدام الاستعارة الضدية في قوله تعالى في حق الكفار: "فبشرهم بعذاب أليم" (٦٣)، حيث علم أن البشارة لا تكون إلا في الأمور المرغوب فيها.

وفي هذا تفتيح لأساليب جديدة وأنماط تعبيرية وصور بيانية يمكن أن يستلهمها أصحاب الشأن القولي في هذا العصر.



## ٢- المقسم به لفظ الجلالة:

عند تتبع المقسم به لفظ الجلالة (الله)، لم أجد في القرآن الكريم إلا آية واحدة قد نصت على ذلك، في قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٢٣ "ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين".

ولكي يتبين لنا سر استخدام لفظ الجلالة في هذا الموطن، يتعين علينا معرفة ملاسبات نزول هذه الآية، فقد ذكرت على لسان الكفار وفي معرض سؤال الله سبحانه وتعالى لهم عن الشركاء الذين كانوا يعبدونهم من دونه سبحانه وتعالى من الأصنام، والمخلوقات الأخرى التي كانوا يعتقدون فيها النفع والضرر أيضاً. والسباق العام للآيات الوارد فيها النص يوضح ذلك، ويشير أيضاً إلى تعريض الله عز وجل بهم بسبب هذا الشرك، ويبين أنهم كاذبون إلى أبعد حدود الكذب حتى على أنفسهم، وذلك من خلال قوله تعالى: "ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون، ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون، ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين، انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون" (٦٤).

وقد علم أن الكفار كانوا يعتقدون أن الأصنام شركاء الله، وأنها تضر وتنفع، وأنها قادرة على نصرهم والشفاعة لهم. وعند تحليل الجملة القسمية في هذا النص، يتبين لنا أن القسم هنا: وقع في معرض الجواب عن سؤال المراد منه التقرير والتبكي (٦٥)، لا حقيقة السؤال؛ وذلك كونه صادراً عن الله سبحانه وتعالى فلا يصح الاستفهام على حقيقته وهو: طلب الفهم أو العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل.

ولو كان السؤال خارجاً مخرج الظاهر، أي على حقيقته، لتناقض ذلك مع حقيقة الألوهية؛ إذ لا يتصور أن الله سبحانه وتعالى يغيب عن علمه شيء من مخلوقاته فهو كما جاء في الآيات: "يعلم خائفة الأعين وما تخفي الصدور" (٦٦) وقال تعالى: "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين" (٦٧).

وقد فهم الكفار هذا المعنى بدليل أن جوابهم كان على طريق الأسلوب الحكيم\*، فلم يكن مطابقاً للسؤال، ولو طابق لكان الجواب: هم في النار، أو ضلوا عنا، أو ما شابه ذلك، ولكنهم عدلوا عن هذا الجواب إلى التأكيد على نفي الشرك عنهم باستخدام القسم "والله ربنا ما كنا مشركين"، فأخرجوا الكلام على خلاف مقتضى ظاهره، قال البيضاوي: "والمراد من الاستفهام التوبيخ" (٦٨).

والنكته في استخدام القسم هنا على هذه الصورة التعبيرية، هي: تصوير مدى شدة تسيؤ الكفار من أصنامهم التي كانوا يشركونها في العبادة، ويعترونها شفعاء لهم عند الله، ويقاثلون من أجلها، ويدبحون لها النذر، إلى غير ذلك من الأعمال الدالة على خالص انتمائهم ومحببتهم لها. وهامهم اليوم في هذا الموقف العظيم

يتبرؤون منها أشد التبرؤ. ويؤكد هذا المعنى ما ذهب إليه أبو حيان في تفسيره لهذه الآية حيث قال "... فعلى هذا يكون المعنى: ثم لم يكن حبهم للأصنام وإعجابهم بها واتباعهم لها لما سئلوا عنها ووقفوا على عجزها إلا التبرؤ منها والإنكار لها، وفي هذا توبيخ لهم، كما تقول لرجل كان يدعي مودة آخر ثم انحرف عنه وعاداه يا فلان، لم تكن مودتك لفلان إلا أن عاديته وباينته، والمعنى على: ثم لم تكن بمعنى مودتهم وإعجابهم بالأصنام إلا البراءة منهم باليمين المؤكدة لبراءتهم..." (٦٩).

أما استخدام لفظ الجلالة (الله) مقسماً به -وهو ما يعيننا بحثه في هذا الموطن- فيعود إلى إرادة جعل الجواب أكثر تأكيداً باستخدام القسم. أما كون القسم بلفظ الجلالة (الله) أكثر تأكيداً؛ لأن لفظ الجلالة يمثل اسم الله الأعظم الذي يوصف بجميع الصفات... (٧٠) التي وصف الله سبحانه وتعالى بها نفسه، فهو العلم على الذات الإلهية، وغيره من الأسماء والصفات تعود إليه وتنشق عنه.

إن استخدام لفظ الجلالة (الله) في هذا الموطن، يعد اعترافاً منهم بالألوهية والوحدانية التي كانوا ينكرونها من قبل في حياتهم الدنيا، فقد كانوا يقسمون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أما الآن، فلم يعد هناك مجال إلا الاعتراف بالألوهية والوحدانية لله سبحانه وتعالى، وقد ظهرت الأمور على حقائقها أمامهم، ولم يعد هناك مجال للإنكار، وقد قيل: "ليس الخبر كالمعاينة".

إن استخدامهم لفظ الجلالة (الله) في هذا الموطن يتضمن طلباً للرحمة التي يريدونها وذلك؛ لأنه يمثل اسم الله الأعظم الذي عنه تنشق جميع الصفات والأسماء الحسنى، قال تعالى: "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم..." (٧١). فالاستخدام لاسم (الله) في هذا الموطن يعد اعترافاً منهم أيضاً بالصفات المنبثقة عنه، ومنها صفة الرحمن والرحيم والسلام والمؤمن، التي تحمل في طياتها معاني الرحمة والغفران والأمان والسلام الذي يطلبونه الآن أي الخلاص من النار.

ونستطيع أن نلمح أن هناك أسراراً ودقائق تعبيرية تدرك من خلال هذا الاختيار [ اختيار لفظ الجلالة ] كمقسماً به في هذا الموطن، وإن الأمر ليس مجرد حشو فراغ بكلمة ذات معنى، وأن اختيار هذا الاسم (الله) في هذا الموطن يحمل في طياته الطمع للخلاص مما هم فيه، فهو الاسم الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى، وفيه يزول الخوف ويكشف الكرب ويفرج الهم والغم وتحدث السعة بعد ضيق ويتحول الضعف إلى قوة والذلة إلى عزة والفقر إلى غنى والوحشة إلى الأنسة والغلب إلى النصر وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء... (٧٢). كما أن تأكيد القسم بلفظ الجلالة من خلال ذكر لفظ الربوبية (ربنا)، يشعر

بذكر نوعي التوحيد: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية الموجهين للخلاص من النار. ويزداد التوكيد وضوحاً، إذا أدركنا ورود كلمة (ربنا) على أكثر من وجه في القراءات، فقراءة الجمهور بكسر الباء يعني أن إعرابها صفة للفظ الجلالة (٧٣)، أما قراءة النصب فهي محمولة على النداء أو على إضمار (أعني)، وعندئذ تكون كلمة (ربنا) اعتراضاً بين القسم والمقسم عليه (٧٤)، وعلى كلتا القراءتين فالاعتبار البلاغي أنها جاءت توكيداً فوق توكيد؛ إذ من المعاني التي يقع من أجلها الوصف أو الاعتراض تأكيد الحكم المتضمن في الجملة.

والوجه الأخير في هذا الأمر، أنه لما كان المراد من قوله تعالى على لسان الكفار "والله ربنا ما كنا مشركين" نفي الكفار الشرك عن أنفسهم، ناسب ذلك القسم باللفظ الدال على الألوهية والتوحيد (الله) المقابل للشرك.

#### المقسم به لفظ الرب:

ظهر لنا مما سبق أن المقسم به بعد واو القسم ينحصر في مخلوقات ربانية عظيمة، و لفظ الجلالة (الله) - وقد تم الحديث عنهما-، ولفظ (الرب)، وهذا التنوع في المقسم به يتبعه تغاير في الدلالات وتناسب في السياقات والنصوص القرآنية.

وظاهر النصوص أن هناك توافقاً وتناوباً في استخدام لفظ (الله) ولفظ (الرب) في هذا المجال، لكن عند إمعان النظر نجد أن هناك دقائقاً وحيوطاً داخلية تجعل سبباً للتغاير والاختلاف في استخدام الالاسمين في الجملة القسمية، وقد اكتفى المفسرون بالقول: إن لفظ الجلالة (الله) في القرآن الكريم يأتي لتربية المهابة، وإن لفظ (الرب) يأتي في مقام الإناس والتربية. و حتى نقف على ما هو أبعد من ذلك يحسن بنا بيان الفرق بين الربوبية والألوهية، فهو مفتاح هذا التغاير؛ فقد جاء في كتب علم الكلام: أن الألوهية تعني: أفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ونفي الشركاء عنه سبحانه، أما الربوبية فتعني: أن الله خالق كل شيء ورب كل شيء. ومعنى الربوبية متضمن في الألوهية، والأول (الألوهية) شرط في دخول الجنة، وهو الذي أنكرته العرب والأمم الأخرى، قال تعالى: "اجعل الآلهة لها واحداً إن هذا شيء عجاب" (٧٥)، وقال تعالى: "أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد" (٧٦)، وهو الذي قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل الإيمان به، فالكفار الذين قوتلوا كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية، ويشهدون أن الله هو الخالق الرازق والمحيي والمميت والمدبر لجميع الأمور، ومع ذلك لم يدخلهم هذا الإقرار في دائرة الإسلام الذي يعصم الدم والمال (٧٧). أما الثاني: وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال... وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم (٧٨) وقد أقرت قريش بهذا النوع من التوحيد: قال تعالى في سورة لقمان آية ٢٥، وفي سورة الزمر آية ٣٨: "ولكن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن

الله، وقال تعالى في سورة المؤمنون آية ٨٤، ٨٥: "قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون".

وفي ضوء ما سبق يمكن تحليل ما ورد من آيات تشتمل على لفظ الرب في الجملة القسمية بعد الواو فنقول: إن عدد هذه الآيات بلغ ثماني آيات هي على النحو الآتي:

- ١- "وفي السماء رزقكم وما توعدون، ف ورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون" (٧٩).
- ٢- "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً" (٨٠).
- ٣- "ف وربك لنسألنهم أجمعين" (٨١). ٤- "ف وربك لنحشرنهم والشياطين" (٨٢).
- ٤- "ويستنبئونك أحق هو، قل إي وربي إنه لحق" (٨٣).
- ٥- "قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب" (٨٤).
- ٦- "قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم" (٨٥).
- ٧- "قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب..." (٨٦). فجميع هذه السياقات تحتاج إلى الجملة القسمية؛ وذلك إن الرزق في السماء، وتحكيم الرسول (صلى الله عليه وسلم) من القضايا التي يقتضي التوكيد فيها فالإيمان به حكماً، وإثبات حقيقة القرآن الكريم، ثم سؤال الكفار وحشرهم وبعثهم كلها من القضايا التي تحتاج إلى توكيد، فالمتحدث عنه (المشرك أو الكافر) في السياقات ليس بخالي الذهن فيلقى إليه الكلام خالياً من المؤكدات على نمط الضرب الأول من أقسام الخبر، ولا هو من المترددين السائلين فيلقى إليه الكلام مؤكداً مؤكداً، بل نجده منكرًا أشد الإنكار يتعدى قوله إلى الفعل أحياناً في مثل التحاكم إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم بل رفض حكمه، وإنكار اعتباره مشرعاً، كما يفهم من معنى الآيات، وهذه الإنكارات جاءت في النصوص السابقة أما على شكل استفهام إنكاري أو إنكار في صيغة الخبر، أو استفهام المراد منه الاستهزاء، فتعامل جميعها معاملة الضرب الثالث من ضرب الخبر الذي يحتاج إلى توكيد حسب درجة الإنكار.

أما استخدام لفظ الرب في هذه السياقات فتختلف النكتة فيه من سياق إلى آخر، ففي الآية الأولى "وفي السماء رزقكم..." نجد الحكم المراد إثباته يتعلق بالرزق الذي يتناسب مع صفة الرب (الرزاق) وهذا أدخل في باب الربوبية فعبر بلفظ الرب دون غيره في القسم، ويزيد الأمر وضوحاً إضافة السرب إلى السماء والأرض حيث الرزق مسبب عن المطر، وقد يطلق المطر ويراد به الرزق من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب كما هو

معلوم من علاقات المجاز المرسل، قال ابن القيم: "أما الرزق فقد فسر بالمطر" (٨٧). وهو يتواجد بين هذين المخلوقين السماء والأرض فناسب الإتيان بلفظ رب السماوات والأرض.

أما الآية الثانية وهي قوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون... فنجد أن المضمون فيها يتعلق بأحكام وشرائع ومعاملات، وهي تدخل أيضاً في مفهوم الربوبية وتتناسب معها، فكان التعبير بلفظ الرب، حيث إن الخطاب متعلق بالذين يرفضون أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم، يوضح ذلك الآيات السابقة على هذه الآية وهي قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً، فلا وربك لا يؤمنون..." (٨٨).

وما من شك أن الأمور المتعلقة بالقضاء والأحكام والشرائع والمعاملات بين العباد وكيفية الحكم ومن يقوم به، من التدابير الربانية، وهي ألصق بمعنى الربوبية من معنى الألوهية، ويزيد وضوح ذلك أن إضافة لفظ الرب إلى كاف الخطاب - المراد بها النبي صلى الله عليه وسلم - يظهر مكانة الرسول العظيمة، وفيها تشريف له صلى الله عليه وسلم. ومن جهة أخرى نجد أن ترك التحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الخصومات، يحمل في طياته معنى التقليل من شأنه عليه الصلاة والسلام فجاءت الإضافة إلى كاف الخطاب رداً على هذا التقليل، من حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم موضع قسم الله سبحانه وتعالى، فلسان الحال يقول: يا محمد أنت عندنا عظيم فلا تكترث لما يفعله هؤلاء من تقليل شأنك والتحاكم إلى غيرك. ومن جهة أخرى نجد أن جعل الرسول صلى الله عليه وسلم جزءاً من المقسم به في التركيب (المضاف والمضاف إليه)، فيه إشارة إلى إثبات نبوته ووجوب طاعته، فإظهاره في اللفظ بمظهر كونه جزءاً من المقسم به (الرب + كاف الخطاب) مدعاة لتعظيمه وبالتالي طاعته فيما يأتي به من أحكام، وقبول ذلك بكل الرضى.

أما قوله تعالى في سورة الحجر آية ٩٢: "فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون" فإننا نجد هذه الآية قد وردت في نهايات السورة تقريباً، وفيها إشارة إلى أن ما يعترض عليه المشركون من قريش، مسئولون عنه يوم القيامة، فقد جاءت اعتراضاتهم من بداية السورة إلى نهايتها كثيرة متنوعة منها: اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم مجنوناً "وقالوا بأبيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون" (٨٩)، وطلب الإتيان بالملائكة (٩٠)، ثم الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، ادعاء تسكير الأبصار وأهم مسحورون وغيرها (٩١)، وهذه الاعتراضات تحمل في طياتها عدم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً مرسلأ، وتقليلاً من شأنه، فجاء

القسم بلفظ الرب مضافاً إليه كاف الخطاب العائدة على النبي صلى الله عليه وسلم ليتناسب وحالتهم تلك من التكذيب والإنكار، لإثبات نبوته وصدق أخباره، ورفع شأنه ومكانته صلى الله عليه وسلم، وتوضيح كتب التفسير الأمور التي سيسأل عنها هؤلاء الكفار وهي كما جاء في الكشف: عما كانوا يعبدون، وثانيها: ماذا أجابوا المرسلين... (٩٢). وما من شك إن سؤالهم عن إجابة المرسلين يناسبه أن يكون المقسم به الرب مضافاً إليه كاف الخطاب العائدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها أيضاً ما يرفع شأنه ويعلي مكانته؛ حيث جعلت إجابته موضع سؤال الرب سبحانه وتعالى.

أما قوله تعالى: "فوربك لنحشرنهم والشياطين"، فقد وردت في سورة مريم التي تقرر نبوة عيسى عليه السلام، حيث أنكرها أهل الكتاب، وهذا الإنكار طريق لإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فانصبت الإضافة في القسم على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم "فوربك" واستخدام لفظ الرب هنا لأن بعث الرسل من الأمور المتعلقة بمعنى الربوبية، ومن جهة أخرى، نجد أن سياق الآيات جاء رداً على منكري البعث وإعادة الخلق، حيث يقول سبحانه وتعالى حكاية عنهم: "ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حياً أولاً يرى الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جنياً" (٩٣). أما قوله تعالى: "ويستنبئونك أحق هو...." فإن الضمير (هو) عائد إما على العذاب، وإما على الشرع، وإما على القرآن، وإما على الوعيد، وإما على الساعة، على اختلاف في أقوال المفسرين (٩٤)، وبالرغم من ترجيح العذاب باعتباره المناسب للسياق، إلا إنه لا يستبعد أن يكون الجميع داخلاً في المراد، وكل هذه القضايا من الأمور العظيمة التي تحتاج إلى تأكيد، فحاء القسم جواباً: "قل أي وربي إنه لحق"، ويزيد الحاجة إلى التأكيد، كون السؤال خارجاً مخرج الاستهزاء والإنكار كما قال أبو حيان (٩٥). وقرأ الأعشى "الحق هو" وهذه القراءة أدخل في الاستهزاء لتضمنها معنى التعريض بأنه باطل؛ وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل: "أهو الحق لا الباطل، أو هو الذي سميتموه الحق" (٩٦). والإنكار يحسن أن يجاب بأكثر من مؤكد حسب ما هو مقرر في علم المعاني (٩٧). ولم يقع القسم على هذا النمط في القرآن الكريم - أعني وقوعه جواباً مصدرأ بأمر رباني - إلا في آيات ثلاث، (٩٨) وهذا الجواب: إما عن سؤال إنكاري "أحق هو" في (سورة يونس، آية ٥٣)، أو جواباً عن خبر يحمل معنى الإنكار في قوله تعالى: "وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم" في (سورة سبأ، آية ٣)، أو خبراً يحمل معنى تأييد النفي (لن) في قوله تعالى: "زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير" في (سورة التغابن، آية ٧).

وفي هذه الآيات الثلاث، استخدم لفظ الرب كمقسم به مضافاً إلى ياء المتكلم العائدة إلى النبي صلى الله عليه وسلم (ربي). أما استخدام لفظ (الرب) - فكما أشرنا سابقاً - لكون المنكر أموراً تتعلق بمعنى الربوبية

كالبعث وإتيان الساعة ووقوع العذاب، أما إضافة الرب إلى ياء المتكلم (الرسول صلى الله عليه وسلم)، ففيها تعريض بالكفار، من حيث كون المقسم به هو رب الرسول صلى الله عليه وسلم القادر على إحداث هذه القضايا، لا أرباب الكفار التي لا تملك لنفسها نفعاً أو ضرراً، فالأحقر بكم (أيها الكفار): الإيمان بمن يقدر، وترك ما سواه سبحانه وتعالى. ومن جهة أخرى يمكننا القول: "إن الإيمان بالله في كونه رب الكون، هو قاسم مشترك بين المؤمنين والكفار حيث كان الكفار يعتقدون معنى الربوبية. فناسب الحلف به سبحانه وتعالى على هذا المعنى، وجعل القسم به جواباً مؤكداً، وبينا بما يعظمونه ويعتقدونه، وهذا أدخل إلى اعترافهم وقبولهم وعودتهم إلى الحق؛ فالقسم بأمر يعظمه الخصم أوقع في نفسه وأشد تأثيراً عليه من الحلف بأمر لا يلقى له بالاً، فناسب الحلف هنا بلفظ الرب سبحانه باعتباره ليس محل نزاع بين الطرفين، السائل المنكر وهم الكفار، والمجيب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا الأسلوب أنسب في إقناع الخصم، ومن ثم الوصول إلى المطلوب وهو حمل الكفار على الإسلام والاعتقاد بالبعث والنشر، والجنة والنار.

وفي الآية الأخيرة من هذه المنظومة، وهي قوله تعالى في سورة الأحقاف "ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون" (٩٩)، نجد أن المقسم به لفظ الرب مضافاً إليه ضمير الجماعة "نا" العائدة إلى الكفار.

ويظهر لنا السر في هذا الأسلوب من خلال مقارنة هذه الآية بقوله تعالى في سورة يونس "ويستنبئونك أحق هو قل إي وري إنه لحق وما أنتم بمعجزين" (١٠٠)، ففي سورة يونس، نجد الآية تتحدث عن جو الأرض، فهي تصور لنا موقف الكفار من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتصور استهزاءهم بمقومات الإيمان وإنكارهم للبعث بصورة جعله محل استفسارهم واستفهامهم لا على الحقيقة، بل على سبيل الاستهزاء، وهو أشد في الإنكار من غيره من الأساليب، وبالمقابل: الآية في سورة الأحقاف نجد أنها تتحدث عن جو الآخرة، فهي تصور موقف الكفار وهم بين يدي الله سبحانه وتعالى بعد انقطاع ارتباطهم بالحياة الدنيا، وتحقق البعث، واستحقاقهم للنار بسبب إنكارهم واستهزاءهم السابقة في حياتهم الدنيا.

وفي سورة يونس، نجد السؤال من الكفار على وجه الاستهزاء، وبالمقابل نجد السؤال في سورة الأحقاف من الله عز وجل في المعنى نفسه (التهكم والاستهزاء)، وفي سورة يونس، يؤكد لهم من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالمقابل في سورة الأحقاف، يؤكد الكفار الجواب بأنه حق، وفي سورة الأحقاف، نجد القسم بلفظ الرب مضافاً إلى ضمير المتكلم (نا) العائد إلى الكفار، وفي سورة يونس نجد القسم بلفظ الرب مضافاً إلى ياء المتكلم العائدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. من خلال هذه المقارنة يتبين أن الآيتين متناظرتان، تشكل

الثانية منهما (آية الأحقاف) تأويلاً للآية الأولى من باب قوله تعالى "يوم يأتي تأويله" (١٠١)، وتعد كذلك رداً بالمثل من باب قوله تعالى "إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون" (١٠٢).

ومن جهة أخرى نجد أن استخدام لفظ الرب كمقسم به مضافاً إليه ضمير (نا) العائد إلى الكفار، مشعر بأن المقسم مؤمن بما يقسم به معظم له، على أمل أن يكون هذا الإيمان شفيحاً لهم للخروج من النار، ويؤكد هذا المعنى ما ذهب إليه الصابوني بقوله "إنهم أكدوا لكلامهم بالقسم طمعاً في الخلاص" (١٠٣)، وهم باستحضارهم لهذه الصورة القسمية يقرون بنقيض ما كانوا عليه في الحياة الدنيا من الكفر، وكأنهم يريدون إخراج ما كان مستحيلاً عندهم في الدنيا (وهو الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى إلهاً)، بصورة الممكن الثابت طلباً للعبو والرحمة.

كما سبق يتبين أن تنوع المقسم به بعد الواو ما بين لفظ الجلالة، ولفظ الرب بإضافاته المختلفة، وبعض المخلوقات الأخرى، يفضي إلى تنوع في دلالة السياق، واعتبارات تذهب إلى أبعد من كون القسم خارجاً مخرج التوكيد فحسب.

وقد تحذف الواو ويبقى عملها، وهذه الصورة لم يرد لها تمثيل في القرآن الكريم \*\*

وقد ينوب عن الواو في القسم حروف أخر، وهذه الصورة لم يرد لها تمثيل في القرآن الكريم أيضاً \*\*\*

### حرف القسم الباء :

يأتي حرف الباء في اللغة لمعان كثيرة منها، الدلالة على القسم، قال الزجاجي: "واعلم أن الواو والباء تدخلان على كل مخلوف به..." (١١٤) ويتميز حرف الباء من الواو بما يأتي:

- ١- جواز إثبات فعل القسم وفاعله مع الباء أو حذفهما نحو: أقسم بالله لأعاونن الضعيف، أو بالله لأعاونن الضعيف، أما غير الباء فيجب حذف فعل القسم وفاعله.
- ٢- جواز أن يكون المقسم بالباء اسماً ظاهراً أو ضميراً بارزاً نحو: برب الكون لأعملن على نشر الإسلام، "بك لأنزلن عند رغبتك الكريمة"، أما غير الباء فلا يجز إلا الظاهر.
- ٣- جواز أن يكون القسم بالباء استعظافياً، (وهو الذي يكون جوابه إنشائياً، نحو: "بالله هل ترحم الطائر الضعيف والحيوان الأعجم؟"، بربك أوافق أنت على تأييد الضعفاء؟". أما القسم بغير الباء فمقصود على القسم غير الاستعظافي" (١١٥).

وعند تتبع مضان القسم بوساطة حرف الباء في القرآن الكريم يتبين لنا ما يأتي: أن الباء لم تدخل إلا على اسم ظاهر، ولم ترد أية صورة تبين دخولها على ضمير بارز مع جواز ذلك في أساليب اللغة. كما يتبين أنه حينما تذكر الباء



كحرف قسم، يؤت بفعل القسم معها، إلا في صور قليلة لا تصفو أن تعد نصاً في القسم، بل تحتل القسم وغيره. وهذا الفهم قد توصل إليه من قبل بعض أهل العلم؛ قال الزركشي: "وفي القرآن الكريم، نجد أن أكثر الأقسام المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء، أتى بالفعل كقوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" (١١٦)، وقوله: "يخلفون بالله لكم ليرضوكم" (١١٧)، ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلاً" (١١٨).

وهذه الصورة الأخيرة من قول الزركشي "صورة ورود الباء كحرف قسم دون ذكر فعل القسم، هو ما يعيننا بحشه في هذا الموطن. وعند تتبع هذه الصورة وجدنا مصداقية ما ذهب إليه الزركشي من أنها قليلة الورد، فقد وردت هذه الصورة وتمثلت في بضع آيات فقط على النحو الآتي:

١- في سورة لقمان من خلال قوله تعالى: "وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (١١٩)، على أن الباء للقسم وليست متعلقة بـ "تشرك"، والمعنى: يا بني لا تشرك ثم أكد فقال: "بالله لا تشرك" وحذف "لا تشرك" للدلالة السابق عليه. وفي ضوء هذا الفهم للآية تكون باء القسم قد دخلت على لفظ الجلالة، ووقعت اعتراضاً بين جملة النهي التي يراد بها النصح والإرشاد وبين جملة تعليل هذا النصح في ذيل الآية "إن الشرك لظلم عظيم". وإذا علمنا أن الاعتراض هو: "أن يأتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب" (١٢٠)، وأنه يأتي لأغراض عند البلاغيين، أمكننا القول: إن الغرض البلاغي من ذلك قد يعود في الآية إلى تأكيد النصح والإرشاد.

٢- في سورة الزخرف من خلال قوله تعالى: "وقالوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ. مِمَّا عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ" (١٢١)، على عد قوله تعالى "مِمَّا عِنْدَكَ" قسماً وقع اعتراضاً بين جملة الأمر "ادع"، وقوله (إننا مهتدون).

والمسوغ لاعتبارها قسماً في هذا الموطن، أنها تفسر بمعنى النبوة (١٢٢)، ناهيك عن أن الطلب وقع من فرعون وقومه، والمخاطب هو موسى عليه السلام، والمعنى: إنهم أقسموا بنبوه موسى عليه السلام. وقد يكون المعنى المراد من قوله تعالى (مِمَّا عِنْدَكَ)، هو استحابة الدعاء، فيكون معنى القسم عندئذ: تقسم بدعائك المستجاب يا موسى (١٢٣)، ويرشح هذا المعنى استخدامهم (يا أيها الساحر) بمعنى: أيها العظيم (١٢٤)، فهي هنا صفة مدح لا صفة ذم، بالإضافة لما يحمله حرف النداء من بعد المترلة.

أما الغرض البلاغي المستفاد من هذا الاعتراض بالقسم، فهو تأكيد الإيمان من قبل فرعون وقومه لإرادة دفع العذاب الذي وقع عليهم من الله. بمخالفتهم موسى عليه السلام، والدليل على ذلك: أن الله عز وجل قد رفع عنهم ذلك العذاب بعد القسم، فال تعالى: "فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكتون" (١٢٥).

٣- في سورة المائدة من خلال قوله تعالى: "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ملأ في نفسي ولا أعلم ما في نفسي إنك أنت علام الغيوب" (١٢٦)، فتقف على "لي" وتبتدئ "بحق" فتجعله قسماً.

فقوله تعالى (بحق) وقع قسماً معترضاً في النص على اعتبار أن الوقف على (ليس لي)، ثم الاستئناف (بحق)، والاعتراض واقع كما هو واضح بين النفي (ما ليس لي)، وجملة الشرط (إن كنت قلته)، والموجب البلاغي لهذا الاعتراض - كما يفهم من الآية - هو تأكيد تزيه الله سبحانه وتعالى حلال الوقف على (بحق) وكأن المعنى عندئذ: سبحانك بحق سبحانك، أو تأكيد علم الله المطلق إذا اعتبرنا الوقف على (ليس لي) ثم الاستئناف (بحق إن كنت) بدليل تذييل الآية بقوله سبحانه (إنك أنت علام الغيوب).

٤- في سورة النساء من خلال قوله تعالى: "فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً" (١٢٧) فقد وقع القسم بالباء معترضاً بين جملة (يحلفون)، وبين جملة (إن أردنا) أي بين الحلف وجوابه، والغرض من هذا الاعتراض، تأكيد جملة القسم (يحلفون).

وإذا اعتبرنا أن الوقف على جملة (يحلفون)، ثم الاستئناف بجملة (بالله إن أردنا...)، تصبح الجملة الثانية مفصولة عن الأولى فصل المفسر عن المفسر، أي: عد الجملة الثانية تفسيراً بيانياً لمعنى الحلف، وذكر المفسر والمفسر معاً يعد نوعاً من الإطناب أي به من أجل التوكيد.

٥- في سورة التوبة من خلال قوله تعالى: "لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون" (١٢٨)، فقد وقعت (بالله) قسماً معترضاً بين الحلف وجوابه الاستعطائي (لو استطعنا...).

٦- وكذلك قوله تعالى في السورة نفسها: "ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون" (١٢٩)، وذلك باعتبار (بالله) قسماً معترضاً بين فعل القسم (يحلفون) وجوابه (إنهم منكم).

٧- وفي السورة نفسها أيضاً من خلال قوله تعالى: "يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين" (١٣٠)، على اعتبار أن (بالله) قسم معترض بين فعل القسم (يحلفون) وبين (لكم ليرضوكم). ويضعف الذهاب إلى معنى الاعتراض - في هذه الآية الأخيرة - بالقسم، أنه يؤدي إلى الفصل بين الفعل (يحلفون) ومتعلقه (لكم).

أما الغرض البلاغي من استخدام الاعتراض بالقسم في هذه الآيات الثلاث، فلا يخرج عن قصد التوكيد لما تضمنته الجمل من أحكام كما سبق ذكر ذلك في آية سورة النساء.

٨- في سورة ( ص آية ٨٢ ) قوله تعالى: (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين). ويظهر أن الآية الوحيدة - من بين هذه المجموعة - التي خلصت للقسم، وقد جاءت على لسان إبليس اللعين كما هو واضح من السياق، أما تخصيص العزة مضافة إلى كاف الخطاب، فمرد النكته فيه تعود إلى أن المقام مقام غضب يتمثل في طرد إبليس من رحمة الله، وانصباب اللعنة عليه إلى يوم الدين من جهة، وتصميم إبليس على الانتقام من آدم وذريته باعتباره المسبب لذلك الطرد، فالأنسب للموقف القسم بالعزة بمعنى القوة والمنعة لا بمعنى الندرة.

وعند التمهيص والتدقيق، نجد أن جميع هذه الأمثلة القرآنية قد دخلت فيها باء القسم إما على لفظ الجلالة وهو الأكثر وإما على قوله (بما عهد عندك)، وإما على قوله تعالى (بحق)، وإما (بعزتك)، والباء ومدخولها - عدا الآية الأخيرة - محتملة للقسم ولغير القسم، وإنما أوردناها هنا لإبراز ما يمكن إبرازه من النكات البلاغية في هذا الوجه المحتمل، ولبيان أن الأسرار البلاغية ثرة متزاحمة في النص القرآني كيفما حمل على وجه محتمل. بل إن حملها على غير القسم يزيد من تراحم النكات البلاغية وهو أولى (عندي) لأسباب (١٣١-١٣٣).

مما سبق يمكننا القول: بأن ورود حرف القسم الباء نائباً عن فعل القسم، ليس له تمثيل في كتاب الله عز وجل - إذا استثنينا الآية الثانية والثمانين من سورة ص - إلا من خلال أمثلة محتملة للقسم ولغيره، بل إن حملها على غير القسم أولى. من حملها عليه كما ظهر، ونخلص مما سبق أيضاً إلى القول: بأن الباء في القرآن الكريم تأتي مع فعل القسم، وقد خصت بذكر الفعل من نحو: أقسم بالله... (١٣٤)، وتأتي بدونها نادراً، أما فيما يتعلق بكون القسم فيها استعطافياً، فهو ظاهر في بعض ما ذكر من الآيات، وفي حالة حذف متعلق حرف الباء فإن بعض النحاة يحملون القسم الاستعطافي بالباء [في غير القرآن]، على أن الباء ومدخولها، متعلق بفعل محذوف تقديره: أسألك؛ فقوله: "بالله قام زيد، معناه، أسألك بالله هل قام زيد؟" (١٣٥).

أما في حالة عد الآيات السابقة الذكر من باب الحلف، وحملت الباء ومتعلقها على أنها للقسم، فيكون المعنى الظاهر المستفاد من هذا الاعتراض هو التوكيد، والقسم عندئذ اعتراض بين أجزاء النص.

#### الباء بين الحذف والذكر:

المسألة الأخيرة في بحث موضوع الباء كحرف قسم نائب عن فعل القسم، تتعلق بحذفها، فقد تحذف الباء وحدها إذا كان مجرورها في القسم لفظ الجلالة (الله) نحو: "الله لأكثرن من العمل النافع" أي: بالله... (١٣٦)،

وفي جمع الهوامع ما نصه: "وجاز حذفها(أي: الباء) لا غيرها من أحرفه(أي: القسم) فينصب تاليها بإضمار فعل القسم ... أو فعل آخر (كإلزم) ونحوه. ويرفع على الابتداء والخبر محذوف وروي بهما قول (امرئ القيس):

فقلت يمين الله أبرح قاعدا  
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

(برفع ونصب يمين)، ولا تجر (خلافاً لمن جوز الجر) بالحرف المحذوف ... فإن كان المقسم به (الله) وعض عن حذف الباء (هاء) محذوفة الألف لالتقاء الساكنين، أو ثابتة لأن الثاني مشدد فزل منزلة دابة (بتشديد الباء) مع وصل ألفه وقطعها نحو: هال الله، هال الله، هال الله، أو عوض همزة ممدودة مفتوحة نحو: الله لأفعلن... أو لم يعوض ولكن قطع ألفه نحو: الله لأفعلن، جر، ويقال الجرفيه بدونه (أي التعويض). حكى سيبويه: "الله لأفعلن"، وحكى غيره: "كلا الله لأخرجن"، وأنشدوا: لأرب من تغتشه الله ناصح، وإنما جاز ذلك في هذا اللفظ فقط؛ لأن استعماله في القسم أكثر من غيره... (١٣٧). ولم يرد مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم إلا في آية واحدة محتملة لأن يكون المحذوف حرف الباء أو حرف الواو، وقد عاجلنا ذلك عند الحديث عن: حذف الواو مع بقاء عملها في الحاشية.

### حرف القسم التاء:

ومن حروف القسم التي ورد استعمالها في القرآن الكريم، حرف التاء، وعن كيفية استعمالها في اللغة يحدثنا أهل اللغة والنحو، قال الفيروز أبادي في قاموسه: والمحرمة في أوائل الأسماء حرف جر للقسم، ويختص بالتعجب، وباسم الله تعالى، وربما قالوا: تربي، وترب الكعبة، وتالرحمن "وتحياتك... (١٣٨). قال الزجاجي: "ولا تدخل التاء إلا على لفظ الجلالة "الله" عز وجل... (١٣٩).

والتاء عند بعضهم بدل من الواو؛ فلذا لا تستعمل مع فعل القسم والسؤال، وتختص بالظاهر وباسم واحد، وهو اسم الله تعالى، فلا يقال: ترب الكعبة" (١٤٠). وعند تتبع الاستعمال القرآني لهذا الحرف، نجد أنه لم يرد إلا على هذه الشاكلة، "تالله" أي: إن المقسم به، اسم ظاهر وهو لفظ الجلالة فقط، وقد ورد في تسعة مواضع: منها أربعة في سورة يوسف عليه السلام... (١٤١). واثنين في سورة النحل، وواحد في كل من الأنبياء والشعراء والصفات... (١٤٢).

ومن خلال تحليل النصوص الواردة في استعمال التاء في القسم، تبين أنهما جميعاً لها تعلق بيبي إسرائيل وأصولهم، سواء أكان هذا التعلق نصاً أم بالتأويل؛ ففي سورة يوسف عليه السلام تعلقت السياقات بيعقوب عليه السلام وأبنائه وأتباعه فقوله تعالى: "تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض" (١٤٣) وقوله تعالى: "تالله

لقد آثر الله علينا" (١٤٤) قسم من إخوة يوسف وقوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف" (١٤٥) وقوله تعالى: "تالله إنك لفي ضلالك القديم" (١٤٦) قسم من حول يعقوب وأبنائه عليه السلام.

أما بقية النصوص القرآنية فهي أيضا الخطاب فيها محتمل لأن يكون متعلقا ببني إسرائيل؛ فقولته تعالى: "وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين" (١٤٧)، قسم صادر عن إبراهيم عليه السلام جد الأنبياء من أبناء إسماعيل وإسحاق، أما قوله تعالى: "تالله إن كدت لتردين" (١٤٨) فقد وردت الآية في معرض الحديث عن رجلين من بني إسرائيل ذكرا في سورة الكهف من خلال قوله تعالى "واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بما ينخل وجعلنا بينهما زرعاً... " (١٤٩) أحدهما مؤمن دخل الجنة، والثاني دخل النار بكفره، فتذكر المؤمن صاحبه فأحب أن يعرف حاله وعندما اطلع فرآه من أهل الجحيم قال هذا القسم، قال الشوكاني: "قيل هما أخوان من بني إسرائيل... " (١٥٠).

أما قوله تعالى "تالله إن كنا لفي ضلال مبين، إذ نسويكم برب العالمين" (١٥١)، فقد وردت في معرض الختام لقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه حين كانت النتيجة أن ألقى كل من عبد الأصنام والأصنام على رؤوسهم في جهنم من قوم إبراهيم عليه السلام وأمثالهم من قوم محمد صلى الله عليه وسلم فيقسم عبادة الأصنام هذا القسم... (١٥٢).

أما قوله تعالى في سورة النحل: "يجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون" (١٥٣) فقد وردت في سياق الحديث عن الشرك واتخاذ إلهين اثنين من خلال قوله تعالى في الآيات السابقة "وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون" (١٥٤)، ومن المعلوم أن اليهود هم من قالوا بإلهين اثنين حيث اعتبروا عزيزاً لها قال تعالى: "وقالت اليهود عزيز ابن الله" (١٥٥).

وكذلك الحال في قوله تعالى: "تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم" (١٥٦). فالقسم يتعلق بذكر الأمم السابقة ومن أكثرهم وروداً في القرآن الكريم اليهود الذين اختلفوا في الكتاب ويزيد تخصيص الأمر باليهود من خلال قوله تعالى: "وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (١٥٧). والمختلفون هم أهل الملل والأهواء، وما اختلفوا فيه هو الدين مثل التوحيد والشرك والجبر والقدر (١٥٨)، واليهود كما هو معلوم أكثر الناس اختلافاً في أمر الدين.

مما سبق يتبين لنا أن لاستخدام حرف القسم التاء خصوصية في القرآن، وهي استعماله في القسم أكثر ما يكون، عندما يكون الحديث عن بني إسرائيل، ومن الجدير بالذكر، الإشارة إلى أن استخدام هذا الحرف في

الشعر نادر، وقد تبعت بعض كتب النحو لأعثر على شاهد شعري يبين استخدام "تالله" مقسماً به فلم أجد إلا ما أرشدني إليه بعض أهل العلم من قول زهير بن أبي سلمى:

تالله قد علمت سراة بني ذبيان عام الحبس و الأصر  
أن نعم معترك الجياع إذا حب السفير و سائبى الخمر (١٥٩)

وقول الخنساء:

تالله أنسى ابن عمر الخير ما نطقتم حمامة أو جرى في الغمر علجوم (١٦٠)  
وقول امرئ القيس:

تالله لا يذهب شيخى باطلا حتى أبير مالكا و كاهلا (١٦١)

في ضوء ذلك يمكنني القول: إن التاء حرف قسم أكثر ما يستعمل في الشعر.

أما اختصاص التاء في إفادة التعجب مع القسم... (١٦٢). فيظهر ذلك جلياً عند تحليل قوله تعالى على لسان من حول يعقوب عليه السلام عندما تبين لهم استمراره بذكر يوسف عليه السلام إلى درجة يتعرض من خلالها للمخاطر من فقدان البصر والهلاك، نجدهم يتعجبون من هذه الحالة المغايرة للحد الطبيعي عند الناس من خلال قوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين" (١٦٣)

وفي قوله تعالى "تالله لأكيدن أصنامكم..." (١٦٤)، فقد ورد القسم حاملاً معنى التعجب على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويحدثنا عن معنى التعجب في هذه الآية الإمام جار الله الزمخشري في معرض حديثه عن الفرق بين التاء والباء في القسم فيقول: "فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء؟ قلت: إن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره، ولعمري، إن مثله صعب متعذر في كل زمان، خصوصاً في زمن نمرد مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه ومهالكه على نصرة دينه... (١٦٥).

ومع أن بعض النحاة يعدون التاء بدلاً من الواو ونائبة عنها فيني لم أعثر على آية تفيد استخدام التاء كما استخدمت الواو؛ في كون المقسم به مخلوقات ربانية عظيمة، تشعر المخاطب بدلائل قدرة الله تعالى، وبهذا يكون حرف التاء أخص في الاستعمال من حرف الواو.

وتشعرنا إحصائية استعمال التاء كحرف قسم في القرآن بقلة هذا الاستعمال بحيث نحكم عليه أنه حرف غريب، هذه الغرابة التي تتناسب في الاستعمال القرآني مع سياق الجمل التي ظهرت فيها من الجهة اللفظية، ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف" انظر إلى هذا التناسب الصوتي العجيب بين الفعل (تفتؤ) وبين (تذكر) واستخدام حرف القسم (التاء)!.  
١٢٢

وإذا حاولنا تغيير حرف القسم، فإن الانسياب اللفظي، وسهولة النطق تتغير، وقد بين علماء فقه اللغة أن مبني العربية يخضع لأسباب صوتية"، قال الرافي: "إن تأليف الكلام في هذه اللغة مبني على أسباب لسانية من عذوبة المنطق ومراعاة النسب اللفظي بين الحروف بحيث لم يلاق فيه بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطق بهما أو يشنع ذلك منهما في جرس النغمة وحسن السمع... (١٦٦). ويقاس عليه أيضاً قوله سبحانه وتعالى "ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون" (١٦٧). حيث التناسب اللفظي والجرسي المؤتلف بين التاءات في كلمات هذه الآية.

وكما يجري هذا التناسب في الحروف في الكلمة، يجري فيما بين الكلم. وقد سمي السيوطي هذا اللون باتتلاف اللفظ مع اللفظ وذكر نص الآية "تالله تفتؤ تذكر يوسف" (١٦٨) وقال: "أتى بأعرب ألفاظ القسم وهي التاء فإنه أقل استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأعرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار وهي "تفتأ" فإن تزال "أقرب إلى الإفهام وأكثر استعمالاً من "تفتأ" وبأعرب ألفاظ الهلاك وهو (حرض)؛ فاقتضى حسن الوضع، أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخيلاً لحسن الجوار ورغبة في اتتلاف الألفاظ لتتبادل في الوضع وتناسب في النظم. ولما أراد غير ذلك قال "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها (١٦٩). والخلاصة: إن استخدام حرف القسم التاء قد يراد به إجراء التناسب فيما بين الألفاظ في جرسها الموسيقي في بعض صيغ القسم. وهناك حروف آخر تستخدم في القسم لم يرد لها تمثيل في كتاب الله عز وجل.

## الختام:

في ضوء التحليل السابق، وسير أغوار النصوص المتعلقة بالقسم بوساطة الحروف، أمكننا استخلاص مجموعة من النتائج التي تتمثل فيما يأتي:

أولاً: إن ظاهرة القسم بوساطة الحروف تمثل مساحة لا بأس بها من رقعة الأساليب العربية.

ثانياً: إن نكات بلاغية تلمح من خلال تغيير صور التعبير القسمية، وانحراف هذه الصور عن المعيار النسبي للقسم.

ثالثاً: إن هذه الأسرار والنكات لا تتوقف عند الغرض العام للقسم وهو التأكيد، بل تتعدى إلى أغراض أخرى تظهر من خلال السياقات كالإغراب، أو التناسب الموسيقي لألفاظ الجملة القسمية، أو العبرة من خلال رسم الصور القسمية في مستوى جمالي عالي الجودة.

رابعاً: إن القسم بوساطة الحروف قد لا يكون محصوراً على ذات القسم، بل قد يخرج على خلاف مقتضى ظاهره لإفادة معان جديدة كتعظيم المقسم به أو اعتباره رمزاً وإشارة إلى غيره.

خامساً: إن هذه الحروف التي نابت عن القسم تجتمع في أصل وضعها على معنى القسم ولكنها تفترق في خصوصيات الاستخدام والأداء وأساليبها، فهي تحمل معاني ثانوية غير المعنى العام للقسم.

سادساً: إن دراسة الحروف التي تنوب عن القسم، تصب في رسالة الحرف التي تعد جزءاً من دراسة أساليب القرآن البلاغية، التي تصب في النهاية في ظاهرة الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

سابعاً: إن النسب الإحصائية الواردة لهذه الحروف في القرآن الكريم، تشير إلى تفاوت في عدد مرات استخدامها، إذ نجد أن أكثرها استخداماً هو حرف الواو ويليه حرف الباء ثم حرف التاء، كما نجد أن هناك من حروف القسم ما لم يرد له تمثيل البتة كالهاء واللام والهمزة.

ثامناً: إن بعض هذه الحروف مثل الباء مثلاً، لم يقع على معنى القسم وحده إلا بشيء من التكلف والتحميل على النص أكثر مما يجب ولي أعناق النصوص، لتتناسب مع معنى القسم.

تاسعاً: تبين من الدراسة أيضاً أن إسقاط كيفيات القسم على واقع الجمل القرآنية يخضع لاعتبارات عقدية محضة في كثير من السور، حيث تتحدد مساحات الجواز الشرعي للصورة القسمية في ضوء تلك الاعتبارات.



### الهوامش

- ١- د. إبراهيم عبد الجواد. الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، عمان: وزارة الثقافة، ص ٤٥.
- ٢- سورة النحل، آية: ٣٨.
- ٣- سورة النازعات، آية: ١-٦.
- ٤- سورة الروم، آية: ٥٥.
- ٥- سورة الضحى، آية: ١-٣.
- ٦- سورة فاطر، آية: ٤٢، وانظر: الأعراف، آية ٤٩، إبراهيم ٢٤، المائة ٥٣، النحل ٣١، النور ٥٣، القلم ١٧.
- ٧- سورة الفجر، آية: ١-٥ وانظر: التين، الذاريات، النازعات، المروج، الطارق، الطور ١-٥.
- ٨- سورة آل عمران، آية: ١٨٦، وانظر: الحشر ١٢، المائة ٢٢، ٨٢، الأحزاب ٦٠، التكاثر ٦.
- ٩- سورة النساء، آية: ٦٢، وانظر: التوبة ١٠٧، ٧٤، ٦٢، ٥٦، ٤٢، المجادلة ١٨.
- ١٠- سورة القلم، آية: ٣٩.
- ١١- سورة التوبة آية: ٧٥.
- ١٢- سورة الأحزاب، آية ١٥، وانظر البقرة ٨٣، ٨٤، ١٢٥، آل عمران ٨١، ١٨٣، ١٨٧، المائة ١٢، الأعراف ١٣٤، ١٦٩، طه ١١٥، يس ٦٠.
- ١٣- سورة النور، آية: ٥٥.
- ١٤- سورة هود، آية: ٢٢، وانظر: النحل ٢٢، ٦٢، ١٠٩، غافر ٤٣.
- ١٥- انظر السور والآيات التالية: المائة ٥٣، ١٠٦، ١٠٧، الأنعام ١٠٩ الأعراف ٢١، ٤٩، إبراهيم ٢٤، النحل ١٣٨، النور ٥٣، النمل ٤٩، الروم ٥٥، فاطر ٢٢، المعارج ٤٠، الواقعة ٧٥، القيامة ١، ٢، التكويد ١٥، الانشقاق ١٦، البلد ١.
- ١٦- سورة فاطر: آية: ٤٢.
- ١٧- سورة المائة آية: ١٠٧.
- ١٨- سورة الواقعة، آية ٧٥.
- ١٩- سورة النور، آية ٥٣.

- ٢٠- أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. الجمل في النحو، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، ط ١، إربد: دار الأمل ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٧٠.
- ٢١- عباس حسن. النحو الوافي، ط ٤. مصر: دار المعارف ج ٢، ص ٤٧٧.
- ٢٢- السابق، ص ٥٠٦.
- ٢٣- الزجاجي. الجمل في النحو، ص ٧٢.
- ٢٤- عثمان سليمان مراد. السلسيل الشافي في أحكام التجويد الوافي، ط، عمان: مطبعة الشرق ومكتبها، بدون تاريخ، ص ١٤.
- ٢٥- شمس الدين بن محمد بن سليمان ابن كمال باشا، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن، عمان: دار الفكر، ص ٢٨١.
- ٢٦- عباس حسن. النحو الوافي، ج ٢، ص ٤٣٤.
- ٢٧- سورة الفجر، آية: ١-٢.
- ٢٨- سورة الشمس، آية: ١.
- ٢٩- سورة مريم، آية: ٦٨.
- ٣٠- سورة يونس، آية: ٥٣.
- ٣١- سورة الأحقاف، آية: ٣٤.
- ٣٢- سورة الأنعام، آية: ٢٣.
- ٣٣- الزجاجي. الجمل في النحو، ص ٧٢.
- ٣٤- انظر على سبيل المثال: سورة الطارق آية ١، الطور آية ١، ٢، التين آية ١-٣، الصافات آية ١-٣، المدثر آية ٣٢-٣٤.
- ٣٥- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، معاني الحروف، تحقيق وتعليق: د عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط ٢، جدة، دار الشروق، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٦١، وانظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزي آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط ٣ بيروت: ١٩٨٧م، ص ١٧٤٦.
- ٣٦- سورة يس، آية: ٢.
- ٣٧- ابن كمال باشا. أسرار النحو، ص ٢٨١.
- ٣٨- انظر السور والآيات الآتية: النازعات ١-٤، المرسلات ١، الذاريات ١، الصافات ١.

- ٣٩- انظر السور الآتية: المدثر ٣٣، الضحى ٢ والعصر ٢، التكوير ١٧، الفجر ٢، ٤، الليل ١، الانشقاق ١٧.
- ٤٠- انظر السور والآيات الآتية: المدثر ٣٤، التكوير ١٨، الضحى ١، العصر ١، الفجر ١، الليل ٢، الشمس ٣.
- ٤١- قوله تعالى من سورة البلد آية ٣: (ووالد وما ولد) على معنى: أقسم بالوالد والمولود عند بعض المفسرين. انظر: الرازي. التفسير الكبير، ج ٣١، ص ١٨٠.
- ٤٢- سورة الطور، آية: ٤ (والبيت المعمور).
- ٤٣- سورة البلد، آية: ١.
- ٤٤- قوله تعالى "والتين والزيتون"، أشار بعض المفسرين إلى أن المراد بالمقسم به هنا: بيت المقدس.
- ٤٥- سورة الطور، آية: ١، وسورة التين، آية: ٢.
- ٤٦- انظر السور الآتية: يس ٢، ق ٢، الزخرف ٢، الدخان ٢.
- ٤٧- انظر: الطارق ١٢، الشمس ٦.
- ٤٨- انظر: الطور ٥، البروج ١، الذاريات ٧، الطارق ١١، الشمس ٥.
- ٤٩- انظر: الانشقاق ١٨، الشمس ٢.
- ٥٠- الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، جامع الترمذي، شرح: محمد بن عبد الرحمن المبارك كفوري، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ج ٤، ص ١١٠.
- وانظر: أبا بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي. السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: دار الباز، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج ١، ص ٢٩.
- ٥١- الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، إخراج وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت دار المعرفة، ج ١، ص ١٠٧.
- ٥٢- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وزميله، الرباط: وزارة الأوقاف المغربية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، ج ٢، ص ٣٦٧.
- ٥٣- السابق: ج ٢، ص ٣٦٨.
- وانظر: الشيخ سليمان بن عبد الله عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ط ٣، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ، ص ٥٩١.

- ٥٤- الشيخ سليمان بن عبد الوهاب. تيسير العزيز الحميد: ص ٥٩٢.
- ٥٥- السابق: ص ٥٩٣.
- ٥٦- شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق عصام فارس وخرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغلي، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م، ص ٦.
- ٥٧- سورة القصص، آية: ٧١.
- ٥٨- ابن القيم. التبيان في أقسام القرآن، ص ٦.
- ٥٩- سورة التين، آية: ١.
- ٦٠- فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط ٣ بيروت: دار إحياء التراث، ج ٣١، ص ٧٣.
- ٦١- د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، الإعجاز البياني للقرآن ومساائل نافع بن الأزرق، (دراسة لغوية بيانية)، مصر: دار المعارف، ص ٢٤٨.
- ٦٢- السابق: ص ٢٥١، وانظر كتابها: التفسير البياني، ط ٤، مصر: دار المعارف، ج ١، ص ٢٧.
- ٦٣- سورة آل عمران، آية: ٢١.
- ٦٤- سورة الأنعام، الآيات: ٢١ - ٢٤.
- ٦٥- الرازي. التفسير الكبير، ج ٩، ص ١٨١.
- وانظر: أبا حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي. البحر المحيط، ط ٢. عمان: دار الفكر ١٩٨٣ م، ج ٤، ص ٩٤.
- ٦٦- سورة غافر، آية: ١٩.
- ٦٧- سورة الأنعام، آية: ٥٩.
- \*الأسلوب الحكيم: تلقي المخاطب بغير ما يترقب، والسائل بغير ما يتطلب. انظر: أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية، ط ٢ ص ١٢٠.
- ٦٨- القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبو عمر الشيرازي البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ٢، ص ٣٩٩.
- وانظر: محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير، ط ٤، بيروت: دار القرآن الكريم ١٩٨١ م، ج ١، ص ٣٨٤.

- ٦٩- أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، البحر المحيط، ط ٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣م، ج ٤، ص ٩٤.
- ٧٠- الشيخ سليمان بن عبد الله عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ط ٣، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ، ص ٢٨.
- ٧١- سورة الحشر آية: ٢٣-٢٥.
- ٧٢- سليمان بن عبد الوهاب. تيسير العزيز الحميد، بتصرف، ص ٣٠.
- ٧٣- أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري. إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ١، ص ٢٣٨.
- ٧٤- السابق ج ١، ص ٢٣٨.
- ٧٥- سورة ص، آية: ٥.
- ٧٦- سورة الأنعام، آية: ١٩.
- ٧٧- محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ونخبة من علماء المسلمين. مجموعة التوحيد، نشر وتوزيع السعودية: رئاسة إدارة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص ١٥.
- ٧٨- صدر الدين محمد بن علاء الدين أبو العز الدمشقي الحنفي. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء ط ٥ بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ، ص ٧٦-٧٧.
- ٧٩- سورة الذاريات، آية: ٢٢-٢٣.
- ٨٠- سورة النساء، آية: ٦٥.
- ٨١- سورة الحجر، آية: ٩٢.
- ٨٢- سورة مريم، آية: ٦٨.
- ٨٣- سورة يونس، آية: ٥٣.
- ٨٤- سورة سبأ، آية: ٣.
- ٨٥- سورة التغابن، آية: ٧.
- ٨٦- سورة الأنعام، آية: ٣٠.
- ٨٧- ابن القيم. التبيان في أقسام القرآن، ص ٤٢١.
- ٨٨- سورة النساء، الآيات: ٦٠-٦٥.

- ٨٩- سورة الحجر، آية: ٦.
- ٩٠- سورة الحجر، آية: ٧، وهي قوله تعالى "لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين".
- ٩١- سورة الحجر، آية: ١١، وهي قوله تعالى: "وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون"، وآية ١٤ وهي قوله تعالى: "ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون".
- ٩٢- جار الله محمود بن عمر الزمخشري. حقائق الترتيل وعيون الأقاويل مع وجوه التأويل، بيروت: دار المعرفة، ج ٢، ص ٣٩٩.
- وانظر: محمد بن علي بن محمد الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار المعرفة، ج ٣، ص ١٤٥.
- ٩٣- سورة مريم، الآيات: ٦٦-٦٨.
- ٩٤- أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط، ج ٥، ص ١٦٨.
- وانظر: ١ - الإمام علاء الدين علي بن محمد إبراهيم الخازن. لباب التأويل في معاني الترتيل، دارالفكر، ج ٢، ص ٢٩٧.
- ٢ - سيد قطب. في ظلال القرآن، ط ٧، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ج ٤، ص ٤٤٨.
- ٩٥- أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط، ج ٥، ص ١٦٨.
- ٩٦- الزمخشري. الكشاف، ج ٢ و ص ٢٤٠.
- ٩٧- أحمد مطلوب. أساليب بلاغية (الفصاحة والبلاغة والمعاني) ط ١، الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٨٠ م، ص ٩٢.
- ٩٨- الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، ط ٧ بيروت: دار القرآن ١٩٨١ م، ج ٢، ص ١٩٧.
- ٩٩- سورة الأحقاف، آية ٢٤.
- ١٠٠- سورة يونس، آية ٥٣.
- ١٠١- سورة الأعراف، آية: ٥٣.
- ١٠٢- سورة هود، آية: ٣٨.
- ١٠٣- محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير، ط ٤ بيروت: دار القرآن الكريم ١٩٨١ م، ج ٣، ص ٢٣٢.

**\*\*** هناك من النحاة - مثل سيبويه - من يعتبر الواو حرف قسم قائماً بذاته لا نائباً عن فعل القسم - كما يفهم من كلامه - وعلى هذا الاعتبار يمكن حذفه مع بقاء دليل على ذلك الحذف، وقد ذكر بعض النحاة أنه (قد تحذف أداة القسم (منها الواو) وحدها مع بقاء الاسم المحرور بها على حاله بشرط أن يكون الاسم لفظ الجلالة (الله) مثل: "الله لأساعدن الضعيف" أي: "والله"، (١٠٤)، وحذفه ساعتئذ للاختصار وكثرة الاستعمال، قال صاحب الكتاب: "ومن العرب من يقول: الله لأفعلن، وذلك أنه أراد حرف الجر، وإياه نوى، فجاز حيث كثر في كلامهم، وحذفوه تخفيفاً وهم ينوونه، كما حذف (رب) في قوله (أحد شعراء بني العنبر):

وجداً ما يرحى بها ذو قرابة لعطف و ما يخشى السماء ربيها

إنما يريدون: رب جداً، وحذفوا الواو كما حذفوا اللامين من قولهم: لاه أبوك، حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى، ليخففوا الحرف على اللسان وذلك ينوون" (١٠٥). والبصريون لا يجيزون حذف حرف القسم وإبقاء عمله من غير عوض إلا في اسم الله خاصة، والكوفيون يجيزونه في كل اسم (١٠٦). وعند تتبع مظاهر وجود هذه الصورة التعبيرية في كتاب الله عز وجل، لم أجد إلا آية واحدة نظنها محتملة لهذا الوجه، وهي قوله تعالى في سورة إبراهيم: "الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد" (١٠٧)، فقد قرئ لفظ الجلالة (الله) بكسر الهاء عند بعض القراء، قال أبو حيان: "قرأ نافع وابن عامر بالرفع... وقرأ باقي السبعة والأصمعي عن نافع (الله) بالجر" (١٠٨).

فإذا اعتبرنا أن التقدير في المعنى: (والله) على معنى القسم، يكن ذلك تأكيداً للمعنى السابقة على هذه الآية وهي قوله تعالى: "ألر، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" (١٠٩)، ويصبح المعنى ساعتئذ: والله، إن هذا كتاب منزل إليك مخرج من الظلمات إلى النور، والموجب للقسم عندئذ، هو كون الكتاب منزلاً على محمد - صلى الله عليه وسلم - مخرجاً من الظلمات إلى النور، محل نظر وتردد في اعتقاد المخالفين. ومن الأمانة العلمية الإشارة إلى أنني لم أجد - في ما اطلعت عليه - من المفسرين أو النحويين من ذهب إلى هذا الرأي في الآية، علماً أنها محتملة لغير معنى القسم، بل إن حملها على غير معنى القسم أقوى من حملها على معناه (١١٠)، فقد جاء في إعرابها ما قاله العكبري: "الله الذي يقرأ بالجر على البدل" (١١١)، أو على عطف البيان - (العزيز الحميد) عند الزمخشري؛ لأنه جرى مجرى الأسماء والأعلام لغلبيتها واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا" (١١٢). وقرأ نافع وابن عامر (الله) بالرفع، والتقدير: (الله الذي)، (أو هو الله)، وهذا الإعراب أمكن - عند أبي حيان الأندلسي - لظهور تعلقه بما قبله... (١١٣)

\*\*\* مع أننا نرى أن يكون حرف الواو نائباً عن فعل القسم، فإننا لا نعدم من يعده أصلاً، لا نائباً، وعلى هذا الاعتبار، قد تنوب عنه حروف أخرى في أداء القسم وهو ما سنوضحه، حيث أقول: من المسائل المتعلقة بحرف القسم الواو، النيابة عنه، فقد ينوب عن الواو في القسم حروف أخرى، منها: - الهاء، وفي الكتاب (ج ٣ ص ٤٩٩)، تحت عنوان: هذا باب ما يكون ما قبل المحلوف به عوضاً من اللفظ بالواو ما نصه "وذلك: قولك (أي ها الله ذا) تثبت ألف (ها) لأن الذي بعدها مدغم، ومن العرب من يقول: "إي هلله ذا" فيحذف الألف بعد الهاء، ولا يكون في المقسم ها هنا إلا الجر؛ لأن قولهم: (ها) صار عوضاً من اللفظ بالواو، فحذفت تخفيفاً على اللسان: ألا ترى أن الواو لا تظهر ها هنا كما تظهر في قولك: "والله" فتركهم الواو ها هنا البتة يدل ذلك على أنها ذهبت من هنا تخفيفاً على اللسان وعوضت منها (ها) ولو كانت تذهب من هنا كما كانت تذهب من قولهم: "الله لأفعلن إذن لأدخلت الواو". والعوض والمعوض لا يجتمعان - كما يقول السيوطي في (الأشباه والنظائر ج ١ ص ٣٠٦-٣١٨)، وينقل عن مجموعة من علماء اللغة في هذه المسألة ما نصه: "قال ابن جني في (سر الصناعة): أما قولهم: "لا ها الله" فإن (ها) اصارت عندهم عوضاً من الواو؛ ألا تراها لا تجتمع معها كما صارت همزة الاستفهام في "الله إنك لقاتم" عوضاً من الواو. قال الشلوبين في "شرح الجزولية": أما (الله) بالمد فعلى أن همزة الاستفهام صارت عوضاً من حرف القسم، ودليل كونها عوضاً: أنه لا يجمع بينها وبين حرف القسم، لا تقول: أو الله لأفعلن قال الأندلسي في "شرح المفصل": "يقال: إن واو القسم عوض من الفعل بخلاف الباء فإنها ليست عوضاً منه. ومن ثم جاز: أقسمت بالله، ولم يجوز: أقسمت والله. قال ابن القواس في (شرح الدرر): "قد عوضوا عن الواو في القسم ثلاثة أحرف: هاء التنييه، وألف الاستفهام، وقطع همزة الوصل، فجزوا بها لنيابتها عنها بدليل امتناع الجمع بين هذه الحروف وبينها. وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ج ٦ ص ٤)، ما نصه: "ويقولون في اليمين: "ها الله" وقال الجوهري: "هاء للتنييه، وقد يقسم بها فيقول: "لا ها الله ما فعلت كذا"، وفي النحو الوافي لعباس حسن (ج ٢ ص ٥٠٦) ما نصه: "و قال ابن مالك: "في هذا شاهد على جواز الاستغناء عن واو القسم بحرف التنييه ولا يكون ذلك إلا مع كلمة (الله) أي: لم يسمع "لا ها الرحمن" كما سمع "والرحمن". وعند تتبع مظان هذا الأسلوب (أي القسم بالهاء النابتة عن الواو)، لا نجد له أثراً في كتاب الله عز وجل ولم يرد فيه مثل هذا الأسلوب.

١٠٤- عباس حسن. النحو الوافي، ط ٤. مصر: دار المعارف ج ٢، ص ٥٠٢-٥٠٣. بيروت: عالم الكتب.

١٠٥- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون.

١٠٦- جلال الدين السيوطي. الأشباه والنظائر في النحو، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ -

١٩٨٤م، ج ٢، ص ١٨٣.



- ١٠٧- سورة إبراهيم، آية: ٢ .
- ١٠٨- أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، البحر المحيط، ط٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣م، ج٥، ص٤٠٣-٤٠٤ .
- ١٠٩- سورة إبراهيم، آية : ١ .
- ١١٠- ذكر هذا الوجه من التأويل يأتي لبيان أن القرآن الكريم قد ضاهى لغة العرب في سنن تعبيرها حتى النادر منها.
- ١١١- أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٩- ١٩٧٩م ص٢٣٨.
- ١١٢- جاز الله محمود بن عمر الزمخشري . حقائق التزييل وعيون الأفاويل مع وجوه التأويل، بيروت: دار المعرفة، ج٢، ص٣٦٥ .
- ١١٣- أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي. البحر المحيط، ط٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣م، ج٥، ص٤٠٤ .
- ١١٤- أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. الجمل في النحو، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، ط١، اربد: دار الأمل ١٤٠٤ هـ -١٩٨٤م، ص٧١ .
- ١١٥- عباس حسن. النحو الوافي، ط٤. مصر: دار المعارف ج٢، ص٤٩٧ .
- ١١٦- سورة النحل، آية: ٣٨ .
- ١١٧- سورة التوبة، آية ٦٢ .
- ١١٨- بدر الدين محمد بن محمد عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢ بيروت: دار المعرفة، ج٣، ص٤٣ .
- ١١٩- سورة لقمان، آية: ١٣ .
- ١٢٠- أحمد مصطفى المراغي. علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، تحقيق ومراجعة جماعة من الأخصائيين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، ص٢٢٣ .
- وانظر: فضل حسن عباس. البلاغة و فنونها وأفانها (علم المعاني) ط٤. إربد: دار الفرقان ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م، ص٥٠٠ .
- ١٢١- سورة الزخرف، آية : ٤٩ .

١٢٢- محمد بن علي بن محمد الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار المعرفة، ج٤، ص٥٥٩.

١٢٣- الصابوني. صفوة التفاسير، ج٣، ص١٦٠.

١٢٤- السابق، ج٣، ص١٦٠.

١٢٥- سورة الزخرف، آية: ٥٠.

١٢٦- سورة المائدة، آية: ١١٦.

١٢٧- سورة النساء، آية: ٦٢.

١٢٨- سورة التوبة، آية: ٤٢.

١٢٩- سورة التوبة، آية: ٥٦.

١٣٠- سورة التوبة، آية: ٦٢.

١٣١- ففي الآية من سورة لقمان، الأولى أن يقال: إن (بالله) جار ومجرور متعلق بالفعل (تشارك)؛ حيث نجد شدة الالتصاق بين المتعلق والمتعلق، وهو ما يؤدي إلى عدم الحاجة إلى التأويل، والقاعدة العامة تقول: إن ما لا يحتاج إلى تأويل، أولى مما يحتاج إلى تأويل، فتقدير (بالله) قسماً، يؤدي إلى تكرار الفعل (تشارك) بلا مسوغ فيصبح الوضع على هذه الصورة: يا بني لا تشارك بالله لا تشارك. وكذلك الحال في آية الزخرف، الأولى حملها على غير القسم وجعلها متعلقة بفعل الأمر (ادع)؛ إذ يستبعد أن يكون فرعون وقومه قد أقسموا بنبوة موسى عليه السلام أو أقسموا بكونه صاحب دعاء مستجاب لما علم من أنه عدوهم اللدود. ويعد احتمالية القسم في هذا الموطن أيضاً، اعتبار بعض أهل أصول التفسير كلمة (ما) في قوله تعالى (بما عهد عندك) استفهامية، قال: الزركشي في البرهان في علوم القرآن (ج٣، ص٤٤): "الأولى أن يقال: إنه سؤال لا قسم".

١٣٢- وكذلك الآية في سورة مريم، الأولى فيها اعتبار (بحق) جاراً ومجروراً متعلقاً بالنفي (ليس) لا قسماً؛ فقد جاء في تفسيرها ما يبعدها عن ذلك من مثل قول محمد بن علي الشوكاني في (فتح القدير ج٢، ص٩٥): تأويلها (ما ينبغي لي أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها). وكذلك الحال في الآيات الباقية الأولى حملها على غير القسم، فقد عهد عن العرب أنهم إذا جاؤوا بالقسم من مادة (حلف)، أتبعوها بالمقسم به وغالبا ما يكون لفظ الجلالة (الله)، وعندئذ تكون الباء ومدخولها من متعلقات فعل القسم (يخلفون). وكذلك الوقف على (يخلفون) ثم الابتداء (بالله)، يعد تحطيماً للنص الواحد وفضلاً بين

الفعل و متعلقه دون مسوغ. لهذا كله نرى أن الأولى عدداً الأمثلة السابقة ليست من باب القسم للابتعاد عن التعسف في توجيه النص.

١٣٣- قال ابن الجزري في (النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٣١): "ليس كل ما يتعسف به بعض العربيين، أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفاً أو ابتداءً، ينبغي أن يعتمد الوقوف عليه بل ينبغي تحري المعنى، والوقف الأولى وذلك نحو: (ثم جاءوك يخلقون) ثم الابتداء (بالله إن أردنا) ونحو: (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك) ثم الابتداء (بالله إن الشرك) على معنى القسم".

١٣٤- نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني. منهاج السالك إلى ألفية ابن مالك وبهامشه حاشية الصبان، مصر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي، ج ٢، ص ٢٢.

١٣٥- محمد بن علي الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ج ٢، ص ٢٢.

١٣٦- عباس حسن. النحو الوافي، ج ٢، ص ٥٢٣.

١٣٧- السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، الكويت دار البحوث العلمية ١٣٩٩-١٩٧٩م، ج ٤، ص ٢٣٢-٢٣٤.

١٣٨- الفيروز آبادي. القاموس المحيط، باب الهمزة، فصل التاء.

وانظر: (١) شرح الأشموني على الألفية، ج ٢، ص ٧.

(٢) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، ص ١٩.

١٣٩- الزجاجي. الجمل في النحو، ص ٧١.

١٤٠- سيويه. الكتاب، ج ٣، ص ٤٩٩.

انظر: (١) ابن كمال باشا، أسرار النحو، ص ٢٨١.

(٢) أبا الفتح عثمان بن جني الموصلي. اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، ط ١، بغداد:

مطبعة العاني ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ٢٨٦.

١٤١- سورة يوسف، قوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف" وانظر الآيات: ٨٥، ٩١، ٩٥.

١٤٢- انظر السور والآيات التالية: الأنبياء ٥٧، الشعراء ٩٧، النحل ١٣، ٥٦، الصافات ٥٦.

١٤٣- سورة يوسف آية: ٧٣.

١٤٤- سورة يوسف آية: ٨٥.

- ١٤٥- سورة يوسف آية: ٩١.
- ١٤٦- سورة يوسف آية: ٩٥.
- ١٤٧- سورة الأنبياء، آية: ٥٧.
- ١٤٨- سورة الصافات، آية: ٥٦.
- ١٤٩- سورة الكهف، آية: ٣٢.
- ١٥٠- الشوكاني. فتح القدير، ج٣، ص ٢٨٥. السياق العام للآيات يتحدث عن مشهد من مشاهد القيامة.
- ١٥١- سورة الشعراء، آية: ٩٧، ٩٨.
- ١٥٢- الشوكاني. فتح القدير، ج٤، ص ١٠٧.
- ١٥٣- سورة النحل، آية: ٥٦. والسياق العام للآية يتحدث عن العرب في الجاهلية.
- ١٥٤- سورة النحل، آية: ٥١.
- ١٥٥- سورة التوبة، آية: ٣٠.
- ١٥٦- سورة النحل، آية: ٦٣.
- ١٥٧- سورة النحل، آية: ٦٤.
- ١٥٨- الرازي. التفسير الكبير، ج٢، ص ٦٢.
- ١٥٩- من قصيدة للشاعر بمدح هرم بن سنان مطلعها:
- لمن الديار بقنة الحجر أفوين من حجج ومن دهر
- انظر شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تعليق: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٨٦، ص ٤١-٤٢.
- ١٦٠- من قصيدة للشاعرة ترثي أحاما صخرًا مطلعها:
- كل امرئ بأثافي الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهوم
- انظر ديوان الخنساء، ط٩، بيروت: دار الأندلس ١٩٨٣، ص ١٣١-١٣٣.
- ١٦١- من قصيدة للشاعر يطلب الثأر لأبيه من بني أسد، والبيت يروى أيضا (والله لا يذهب).
- انظر: ديوان امرئ القيس، تحقيق وشرح: حنا الفاخوري، ود. وفاء الباني، ط١، بيروت: دار الجيل ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ١٦٢- عباس حسن. النحو الوافي، ج٢، ص ٤٦٩.
- ١٦٣- سورة يوسف آية: ٥٣.

١٦٤- سورة الأنبياء، آية: ٥٧.

١٦٥- الرمحشري. الكشف، ج٢، ص٥٧٦.

١٦٦- مصطفى صادق الرافعي. تاريخ آداب العرب، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٧٤ م، ج١، ص٢١٧.

١٦٧- سورة النحل، آية: ٥٦.

١٦٨- سورة يوسف، آية: ٨٥.

١٦٩- السيوطي، الإتيقان، ج٢، ص٨٨.

\*\*\*\* \* ومن الحروف التي تنوب عن فعل القسم، اللام، وهي تأتي للقسم والتعجب معا، وتختص باسم الله تعالى كما يقول الصبان في حاشيته على شرح الأشموني، واستشهد بقول أمية بن أبي عائذ:

لله يبقى على الأيام ذو حيد بمشخر به الظيان والآس... (١٧٠)

ويشترط عند استخدامها في القسم، أن يكون المقسم به لفظ الجلالة، وأن تكون جملة القسم محذوفة؛ كقولهم "لله!! لا ينجو من الزمان حذر"، يقال في معرض الحديث عن رجل حريص يتوقى أسباب الضرر جهد استطاعته ولكنه بالرغم من ذلك يصاب". (١٧١)

وعند تنوع ورود اللام حرف قسم في القرآن، لا نجد له ذكراً، وأما قوله تعالى: "لعمرك إني سكرتم بعمهون" (١٧٢)، فاللام فيها (كما يقول أبو حيان) للابتداء (١٧٣) قد دخلت على المقسم به (عمرك)، وقد تحذف بدليل قراءة ابن عباس (رضي الله عنهما): وعمرك، ومن حذفها في الشعر ما أشده لأبي الهيثم:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان (١٧٤)

مما سبق نخلص إلى أن اللام في الآية الكريمة ليست للقسم، وأن كتاب الله عز وجل خال من استخدام لام القسم. ونحن إذ نشير إلى ذلك من باب الدراسة الإحصائية.

ومن حروف القسم عند النحاة همزة الاستفهام قال ابن كمال باشا: "وكذا همزة الاستفهام مع القطع والوصل عوض من حروف القسم نحو: آله همزتين مفتوحتين، ويجوز إبدال همزة الثانية ألفاً فتقول بهمزة مفتوحة ممدودة بعدها لام نحو: آله، ولا يجوز الاقتصار على همزة واحدة للالتباس... (١٧٥)

ومن حروف القسم أيضاً: من (بضم الميم) مثل "من الله" وتقلب "مالله" لأنها تعامل في الخط معاملة الباء في بالله عند ابن درستويه وسيبويه" (١٧٦)

وتأتي مضمومة الميم ومكسورها ولا يكاد يجر إلا كلمة "الله" نحو "من الله لأقاوم الباطل" ويجب معه حذف الجملة القسمية، فعلها وفاعلها" (١٧٧) ومن حروف القسم: "جير" قال في النحو الوافي: "من الألفاظ التي قد تستعمل أحياناً في القسم "جير" كقول الشاعر:

قالوا قهرت فقلت جير ليعلمن عما قليل أينما المقهور (١٧٨)

والأحسن في إعرابها أن تكون حرف قسم مبنيا على الكسر لا محل له من الإعراب" (١٧٩) وعد بعضهم الميم حرفا من حروف القسم مثلثة ضمّاً وفتحاً وكسراً (م) مثل (مُ اللهُ) وجعله صاحب التسهيل، بقية "لمن". (١٨٠)

وعند تتبع مظان وجود هذه الحروف للقسم في القرآن، لا نجد لها تمثيلاً البتة، ولعل السبب يعود إلى أن هذه الاحتجاجات في استخدام هذه الحروف في القسم من اللغات الأقل حظاً من الفصحى والله أعلم، وإنما ذكرناها هنا من وجهة النظر الإحصائية.

١٧٠- الصبان. حاشية الصبان على شرح الاشموني، ج٢، ص ٢-٦ .

الضيان: باسمين الرب.

١٧١- عباس حسن . النحو الوافي، ج٢، ص ٤٧٧ .

١٧٢- سورة الحجر ، آية : ٧٢ ، وفي الآية: نلاحظ أن: "المقسم به هو عمر الرسول صلى الله عليه وسلم، والمقسم، هو الله سبحانه وتعالى، كما ورد عند الطبري في تفسيره ( ج ٤ ص ٤٤ ) وقد قصد بهذا القسم التعجب من حال قوم لوط، وتشريف المقسم به وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما "ما خلق الله وما ذرأ، وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ غيره ". ويصح أن يكون المخاطب لوطاً عليه السلام، قلل الزمخشري في الكشاف (ج٢ ص ٣٦٩): "قالت الملائكة للوط عليه السلام: "لعمرك إنهم لفي سكرتهم" والعمر (بفتح العين) عنده للقسم، قال: "والعمر والعمر واحد، إلا إنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه، وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره: لعمرك مما أقسم به".

١٧٣- أبو حيان. البحر المحيط، ج٥، ص ٤٦٢ .

١٧٤- السابق ص ٤٦٢ .

١٧٥- ابن كمال باشا. أسرار النحو، ص ٢٨. وانظر: السيوطي. الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق، د. عبد

العال سالم مكرم، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م، ج١، ص ٣١٧-٣١٩ .

١٧٦- د. عبد الفتاح الحموز. فن الإملاء في العربية، ط١، الأردن - دار عمار ١٩٩٣م، ج١، ص ٣٨٨ .

١٧٧- عباس حسن. النحو الوافي، ج٢، ص ٤٦٥ .

١٧٨- لم أعتز على قائله.

١٧٩- عباس حسن. النحو الوافي، ج٢، ص ٥٠٥ وما بعدها.

١٨٠- جمال الدين أبو عبد الله محمد، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق د. محمد كامل بركات، دار

الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م، ص ١٦٠ .

## المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد. منهاج السبيلك إلى ألفية ابن مالك وبهامشه حاشية الصبان، مصر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي.
- ٣- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي. البحر المحيط، ط٢ عمان: دار الفكر ١٩٨٣م.
- ٤- بنت الشاطي، د. عائشة عبد الرحمن.
- (١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل، نافع بن الأزرق، (دراسة لغوية بيانية)، مصر: دار المعارف.
- (٢) التفسير البياني ط٤، مصر: دار المعارف.
- ٥- البيضاوي، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبو عمر الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٦- البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين بن علي. السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا مكة المكرمة: دار الباز، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٧- الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى بن سورة. جامع الترمذي، شرح: محمد الرحمن المبار كفوري، المدينة المنورة: المكتبة السلفية.
- ٨- الجزري، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي. النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الصباغ، عمان: دار الفكر، بدون تاريخ.
- ٩- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، ط١، بغداد: مطبعة العاني ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٠- حسن، عباس. النحو الوافي، ط٤. مصر: دار المعارف.
- ١١- الحموز، د. عبد الفتاح الحموز. فن الإملاء في العربية، ط١، الأردن: دار عمار، ١٩٩٣م.
- ١٢- الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين أبو العز الدمشقي. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، ط٥، بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ.
- ١٣- الخازن، الإمام علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي. لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر.
- ١٤- الخنساء، تهاضر بنت عمر بن الشريد السلمي. الديوان، ط٩، بيروت: دار الأندلس ١٩٨٣م.
- ١٥- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث.

- ١٦- الرفاعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٧٤ م.
- ١٧- ربيعة، زهير (ابن أبي سلمى). شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تعليق: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٨٦ م.
- ١٨- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى. معاني الحروف، ت: د عبد الفتاح شلبي، ط٢، جدة: دار الشروق ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.
- ١٩- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق. الجمل في النحو. تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، ط١، اربد: دار الأمل ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.
- ٢٠- الزركشي، بدر الدين محمد بن محمد عبد الله. البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت: دار المعرفة.
- ٢١- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل بيروت: دار المعرفة.
- ٢٢- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمير. الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب.
- ٢٣- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين.
- ١- الإتيان في علوم القرآن، بيروت: المكتبة الثقافية ١٩٧٣ م.
- ٢- الأشباه والنظائر في النحو، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ م.
- ٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢٤- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير الجامع بين فيي الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار المعرفة.
- ٢٥- الصابوني، محمد علي.
- (١) صفوة التفاسير ط٤ بيروت : دار القرآن الكريم ١٩٨١ م.
- (٢) مختصر تفسير ابن كثير، ط٧، بيروت: دار القرآن ١٩٨١ م.
- ٢٦- الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبان على شرح الأشموني، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ج٢، ص ٢٢، مصر: دار إحياء الكتب العربية



- ٢٧- الطبري، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٣، نشر: مصطفى الحلبي وأولاده ١٩٦٨ م.
- ٢٨- عباس، فضل حسن. البلاغة وفنونها وأفنانها (علم المعاني) ط٤، إربد: دار الفرقان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.
- ٢٩- عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وزميله، الرباط: وزارة الأوقاف المغربية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- ٣٠- عبد الجواد، د. إبراهيم. الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، عمان: وزارة الثقافة.
- ٣١- عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ.
- ٣٢- عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ونخبة من علماء المسلمين. مجموعة التوحيد، نشر وتوزيع بالسعودية: رئاسة إدارة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- ٣٣- العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن محمد ابن حجر. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج: محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة.
- ٣٤- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.
- ٣٥- فارس، أبو الحسين أحمد. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٨٩هـ.
- ٣٦- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط٣، بيروت: ١٩٨٧ م.
- ٣٧- قطب، سيد قطب. في ظلال القرآن، ط٧ بيروت: دار إحياء التراث ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م.
- ٣٨- القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن القيم). التبيان في أقسام القرآن، تحقيق عصام فارس وخرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغلي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
- ٣٩- كمال باشا، شمس الدين بن محمد بن سليمان. أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن، عمان: دار الفكر.
- ٤٠- الكندي، أبو الحارث حندج بن حجر (امرؤ القيس). ديوان امرئ القيس، تحقيق وشرح حنا الفاحوري ود. وفاء الباني، ط١ بيروت: دار الجيل ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩.

- ٤١- مالك، جمال الدين أبو عبد الله محمد (ابن مالك). تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م.
- ٤٢- مراد، عثمان سليمان. السلسيل الشافي في أحكام التجويد الوافي، إعداد: سعيد حسن سمور، عمان: مطبعة الشرق ومكنتها، بدون تاريخ.
- ٤٣- المراغ، أحمد مصطفى المراهقي. علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، تحقيق ومراجعة جماعة من الأخصائيين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٤٤- مطلوب، أحمد.
- ١- أساليب بلاغية (الفصاحة والبلاغة والمعاني) ط١، الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٨٠م.
- ٢- معجم المصطلحات البلاغية، ط٢، لبنان: مكتبة لبنان ١٩٩٦م.